# بدر الكبرى

## المدينة والغزوة

د. محمد عبده يماني

كتاب المجلة العربية
165

كتاب المجلة العربية 165 العدد 404 بدر الكبرى.. المدينة والغزوة د. محمد عبده يماني رمضان 1431 - سبتمبر 2010



ده يماني

1940م.

شريف.

جامعة الرياض (الملك سعود حالياً)

ل بالولايات المتحدة الأمريكية.

ل بالولايات المتحدة الأمريكية

ويست كنسين

1392هـ.

ة من 4/8/1392هـ إلى 28/7/ 1393هـ.

ة من 28/7/1393هـ.

هـ إلى 11/7/1403هـ.

ول من خلالها موضوعات

# بدر الكبرى
# المدينة والغزوة

(ولقد نصركم اللـهُ ببدر وأنتم أذلة فاتقوا اللـهُ لعلكم تشكرون)

# المجلة العربية

رئيس التحرير

د. عثمان بن محمود الصيني

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com

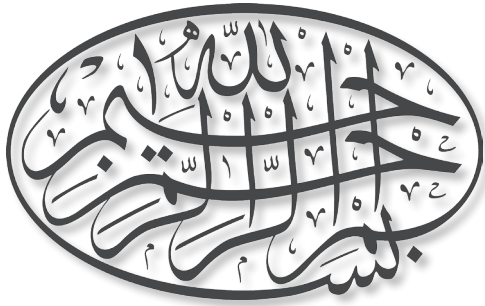

# الإهداء

إلى روح الوالدة الكريمة

وقد تعلمنا منك حب بدر وأهل بدر وفضل بدر

وإلى أهل مدينة بدر الكرام

الذين ساهموا معنا في إخراج هذا الكتاب

وإلى كل محب لهذه المدينة الخالدة

أهدي كتابي هذا

***د. محمد عبده يماني***

ح المجلة العربية 1431هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

يماني، محمد عبده

بدر الكبرى: المدينة والغزوة. /

محمد عبده يماني - الرياض، 1431هـ200

ص ، 21x14 سم

(سلسلة كتاب المجلة العربية، 165)

ردمك: 978_603_90180_2_5

غزوة بدر -2 السيرة النبوية أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي 239.4 1431/7169

رقم الإيداع: 7169 / 1431

ردمك: 978_603_90180_2_5

# المحتوى


| | |
|---|---|
| **مقدمة** | 6 |
| **الفصل الأول:** بدر.. مكانها وتسميتها | 16 |
| **الفصل الثاني:** غزوة بدر.. مقدمات وأسباب | 24 |
| **الفصل الثالث:** والتقى الجمعان | 56 |
| **الفصل الرابع:** ما بعد معركة بدر | 128 |
| **الفصل الخامس:** دروس مستفادة | 172 |

# مقدمة

**وكانت بدر هي كلمة السر**

**يوم بدر وما يوم بدر**

**بدر الأمل**

**بدر السعي والعمل**

**بدر العزم والإصرار**

**بدر البيعة والعهود**

**بدر الوفاء والالتزام**

**بدر البذل والفداء**

**بدر الرجال والأبطال**

**بدر المحبة والصفاء**

**بدر النصر والفلاح**

**بدر الحسم والفرقان**

**بدر الهدف والمثال على مدى الأزمان**

**في حياة الأمم مواقف مضيئة**

**لا يخبو إشعاعها مهما دارت الأيام**

**ولا ينسى أمرها مهما تقادمت الأزمان**

**ولا تقاس بغيرها مهما تعاظمت الأحداث**

**حوادث فذة**

**تنبت في ثناياها القيم**

وتنجلي غمراتها عن المثل
وتتربى في أحضانها طاقات الشعوب والأمم
وتصبح هذه الأحداث في التاريخ الإنساني معالم
يفيء إليها الوجدان، كلما ادلهمت الليالي واشتدت الأنواء
فتنهض العزائم وتلتئم الجراح
وتنطلق الهمم لتحاول من جديد
فعندها المثال
وعندها الأمل
وكانت وقعة بدر أروع هذه المواقف في حياة المسلمين
وكانت إرهاصاً يستشرفون إليه أيام الشدة والبأساء
وكانت حافزاً يستحث العاملين حتى يواصلوا الكفاح
وكانت عصاماً يربط قلوبهم فتمتلئ بالإصرار ولا تميل بها الأهواء
وكانت آية على رعاية الله يفيض نورها باليقين والإمداد
وكانت أملاً غالياً يدعو المؤمنين إلى حسن التأسيس والإعداد
وكانت صدقاً طاهراً أكدته العهود
ووثقته البيعة والعقود
وكانت تجربة فذة كشفت عن أصدق الوفاء وأطهر النقاء
وكانت محبة غامرة برز في عبابها صدق الفداء
وكانت ميداناً دارت في جوانبه أحداث هي معدن البطولة
وعنفوان الرجولة
وكانت طهراً فاض في غلواء الحرب بأصفى معاني الحب والوداد

وكانت معركة قلبت كل موازين البشر، حتى تحقق فيها النصر المراد
وكانت فيصلاً بين الحق والباطل حتى سميت يوم الفرقان
وكانت على مر الأيام مثلاً يذكر عند كل فوز ونصر
في كل هذا كانت «بدر» هي كلمة السر.

واسمع معي نبأ ذلك في حديث الأيام والليالي، وارقب وجيب القلوب وسبح المشاعر كلما ذكرت بدر بين الأحداث الخوالي.

يوم قام الصحابة الكرام يشكون إلي نبيهم الكريم -عليه الصلاة والسلام- وطأة المشركين، ورهق العذاب الأليم، وشدة البأس وقلة النصير.

فأجابهم بثقة في نصر الله، ويقينه بوعد الله، وأمله في غد آمن وعيش كريم:

«والله ليتمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون».

وكانت بدر في الغيب عنوان ذلك الأمل.

ويوم تجمع المؤمنون عند الصفا في دار الأرقم، حول نبيهم ومرشدهم، يوجههم ويزكيهم ويعلمهم ويربيهم, فيسعى كل مؤمن منهم يسر إلى صديق أو قريب يعرض عليه الإسلام، ويضمه نصيراً إلى كتيبة الرحمن، حتى تكاثر جند الله ارتقاباً ليوم يؤذن لهم فيه بالمواجهة والجهاد وكانت «بدر» موعد ذلك الإذن، وثمرة ذلك العمل الدؤوب.

ويوم أوسع المشركون بالعذاب من أعلنوا إسلامهم وزادوهم رهقاً, وقتلوا منهم رجالاً ونساء، وحبسوا وعذبوا منهم أحراراً وعبداناً،

وألجأوهم مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبي طالب سنين عدداً، يكابدون العزلة والحصار والجوع والأذى، وكانت أطياف الأمل في يوم كيوم بدر منبع إصرارهم وزاد صبرهم وثباتهم.

ويوم أن هجروا الأوطان، وتركوا الأهل والعشيرة، طوراً إلى الحبشة وطوراً إلى يثرب الطاهرة، حتى إن أحدهم (صهيب بن سنان) يبذل للمشركين كل ماله، حتى يخلوا بينه وبين ما هاجر إليه، ثقة بما عند الله, ويقيناً بوعد الله، فجاء مدحه بالقرآن الكريم (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) - البقرة: 207 .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) - النور: 55.

ويبشر الرسول بالفوز والفلاح حين بلغ المدينة مهاجراً: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى».

وكانت بدر آية هذا اليقين، وحلم هؤلاء المهاجرين الصادقين، ويوم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن المدينة، ويؤاخي بين المهاجرين والأنصار، ويوادع القبائل من حولها، ويبث السرايا ويتحسس أخبار أعدائه، ويحاصر قوافلهم ليذوقوا ما ذاقه المسلمون على أيديهم من حصار ومصادرة للأموال والعقيدة.

ما كان كل هذا إلا إعداداً للميدان والرجال.

أظهرت أهدافه وحكمته بدر.

ويوم تسلل في ظلام الليل رجال الأوس والخزرج في ليالي منى يبايعون رسـول الله صلى الله عليه وسـلم على النصر والمنعـة وهلكة الأموال، وقتل الأشراف. حتى اسـتفز صدقهم شيطان العقبة، فقام يصرخ في الليل ليوقظ المشركين حتى يفسد هذه البيعة.

وما كانت تلك البيعة إلا عهد الجهاد الذي حققته بدر.

ويوم قام صلى الله عليه وسـلم يسـتخرج مكنـون الوفاء من خير الوافين أنصار الله وأنصار رسـوله الميامين، سـائلاً: «أشيروا علي أيها الناس». في شـأن جيش بدر، وقافلة بدر؛ فيقوم صوت الوفاء الصادق ونقيب الأنصـار الواثق، يزكي عهد بيعة العقبـة المكي، إذ يجيب خير المرسـلين يقول قولاً هو الوفـاء الأبي أو هو الصدق الوفي: «يا رسـول الله: آمنا بك وصدقناك وأعطينا على ذلك عهودنا ومواثيقنا، فسالم بنا من شـئت، وحارب بنا من شـئت، وخذ من أموالنا ما شئت، ودع منها ما شئت، وما أخذت منها أحب إلينا مما تركت، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، فوالله لو استعرضت هذه البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، وعسى الله أن يريك منا ما تقر به عينك».

فـكان ذلك القول ميثاق الوفاء تخطه للوافين أمجاد بدر ويوم تقدم صناديـد الأنصار لمبارزة أعداء الله يفدون بأنفسـهم الحق والرسـول وجيـش الإيمان، فطلب طغـاة الشرك أن يبارزهم أكفـاء من قريش، فيخرج بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطال هاشم الأبرار عم الرسـول حمزة أسد الله، وابنا عميه عبيدة بن الحارث بن المطلب،

وعلي بن أبي طالب الكرار يفدي بهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم جند المؤمنين، وهم خاصة أهله، وأعمدة عشيرته، فيدمرون طواغيت الكفر في فداء صادق وعزم متين.

وكان كرهم فاتحة نصر بدر.

ويوم قام غلامان حدثان من شباب الأنصار على مجنبتي عبدالرحمن بن عوف، فاستصغر سنهما وشأنهما في القتال، وتمنى لو أن مكانهما رجلـين جلدين مجربـين، حتى رآهما يتنافسـان لمنازلة طاغية الكفر وفرعـون الأمـة (أبي جهل) فعـرف عندئذ أي بطولة تسـكن في إهاب هذيـن الغلامين الغضين حتى لقـد قال عنهما: «فأحسسـت أني بين جبلين»، وكانت هذه صور من بطولات بدر.

ويـوم أن برز سـواد بن غزية مـن الصف بصدره، فطعنه الرسـول صلى الله عليه وسلم في بطنه بقدح كان في يده فقال سواد أوجعتني يا رسـول الله فأقدني (أي دعني آخذ بثأري من طعنك لي) فإن الله بعثك بالحق.

فكشـف له الرسـول صلى الله عليه وسـلم عن بطنـه ليطعنه كما طعنه، فأكب سـواد عـلى بطن النبي الكريم يعانقه ويقبله، فيسـأله الرسـول الحبيب: «مـا حملك على هذا يا سـواد؟» فيقول سـواد: «يا رسول الله، حضر من أمر الله ما ترى فأحببت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جسدي جسدك»، حب عظيم كشفت عن صدقه أحداث بدر.

ويـوم أن ثبت ثـلاث مئة وبضعـة عشر رجلاً، معظمهم بلا سـلاح يصلـح لمعركة وليس معهم غير فرس واحـدة ولا يلبس الدروع منهم

غير سبعين، وفي مواجهتهم زهاء الألف من المشركين المجهزين بالشكة الكاملة، ومع الفارق الشاسع بين الفئتين تحقق للفئة القليلة النصر الساحق على الفئة الكثيرة بإذن الله, وكان بذلك يوم بدر يوم الفوز والنصر المبين.

وقد كان قبل يوم بدر أمراً مريجاً والكفر مزهواً والباطل مستعلياً عادياً، والناس يرقبون الموقف في حيرة، ويظنون بمقاييسهم أن الغلبة لا محالة لأعداء الله كما أرجف بذلك اليهود يتوقعون هلاك المسلمين، حتى جاء يوم بدر فأبلج الحجة، وقضى على الأوهام والظنون، وتحقق نصر الله لعباده المؤمنين، فأصبحت معركة فاصلة سماها الله في وحيه (يوم الفرقان) فرق فيها بين الحق والباطل.

وتمضى السنون والقرون، فما تمر بالمسلمين شدة إلا وذكروا يوم بدر, ولا حققوا نصراً إلا وتمثلوا بيوم بدر، ولا أرادوا صموداً إلا وتنادوا بأمجاد بدر.

وكم لهم على مدى التاريخ من أيام مجد خرجوا فيها للقاء عدوهم في شهر رمضان, شهر بدر؛ فاستلهموا صدقها واستعادوا أحداثها وتنادوا بشعارها فتحقق لهم نصر عزيز في أمثال حطين وعين جالوت.. وسواهما من أيام جُعلت بدر فيها مثالاً فبلغوا فيها آمالاً عزت على الغافلين.

وهكذا كلما عشنا هذه الذكريات العطرة, وشعرنا بالعزة والفرحة, وتذكرنا نصر الله عز وجل وعزة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه, واستشرفنا ذلك التاريخ المشرق؛ ارتاحت نفوسنا,

**وامتـلأت عـزة كرامة ورفعـة رأس، وكان من واجبنـا أن نعلم أولادنا ونتعلم نحن ومن حولنا من دروس بدر ومن فضائل بدر, نرددها نشداً جميلاً, وكما قال الشاعر:**

**رددوهـــــا عـــسى تـــعـــود رؤاهـــا**
**واصـــنـــعـــوا الـــيـــوم مثلها أشباها**
**وامـــلـــؤوا الـــروح مـــن هـــواتـــف بدر**
**واطـــلـــبـــوا الـــعـــز في طـــريـــق هداها**
**عـــل يـــومـــاً يـــعـــزنـــا مـــثـــل بـــدر**
**ويـــــداوي مـــن الـــنـــفـــوس أســـاهـــا**

**والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.**

*محمد عبده يماني*

*17 من رمضان 1413هـ*

# الفصل الأول

# بدر.. مكانها وتسميتها

## لـمـاذا سميت بدراً ؟

المعـروف أن الغـزوة المباركة قد سـميت باسـم المكان الـذي وقعت فيه, وهو سوق من أسـواق العرب المعروفة، تقصده العرب وبخاصة القوافل القادمة من الشام، والذاهبة إليها, وقد كانت تقام فيه السوق مدة ثمانية أيام عند هلال ذي القعدة.

وهذا المكان سـمي بدراً -كما تقول الروايات- نسـبة إلى اسم بدر بن يخلد بن النضر وهو من كنانة وقيل من بني ضمرة, وكان هذا الرجل قد سـكن هذا المكان فنسـب إليه وسمي باسـمه، وبعد ذلك غلب على المكان الاسـم, وكان قرية صغيرة قليلة السـكان. وقيل إن الاسم جاء انتسـاباً إلى بدر بن قريش الذي حفر بئراً في هذا المكان فسـميت البئر باسـمه، ثم غلب الاسـم على المـكان، وعرفت بماء بـدر، والرجل الذي حفر البئر هو ابن لقريش من بني الحارث بن يخلد، وكان دليل قريش وصاحب ميرتها[1] وقد غلب اسمه على المكان فسمي بدراً.

ومن يراجع معجم البلدان لياقوت الحموي يلاحظ أنه تكلم عن بدر على أنها ماء مشـهور بين مكة والمدينة في أسفل وادي الصفراء, وبين هذا الماء وبين ساحل البحر ليلة واحدة.

---

(1) الميرة: جلب الطعام، وصاحب ميرتها أي الذي كان يؤمن لها الطعام ويجلبه من مظانه.

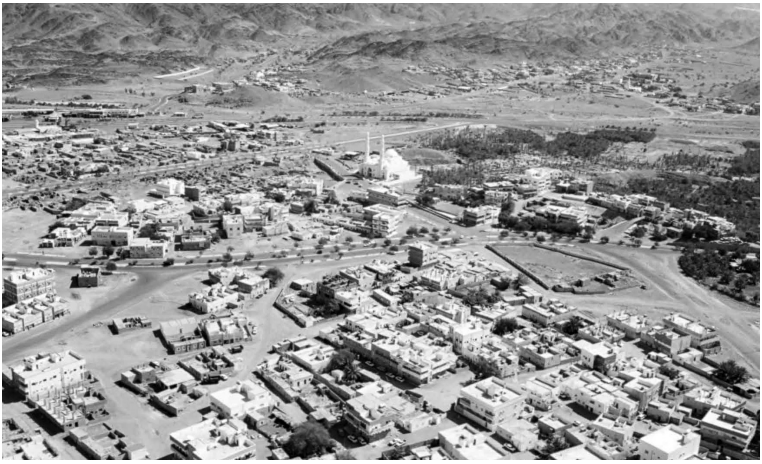

منظر جوي لمدينة بدر

**ويقول ابن حجر: «هي قرية مشـهورة نسـبت إلى بـدر بن يخلد بن النـضر بن كنانة، ويقال بدر بن الحارث، وهناك من الروايات المتداولة المعروفـة حتـى اليوم ما يذكر أن سـبب تسـمية بدر هـو أن بها بئراً مشـهورة بصفاء مائها فكان الناظر على سـطح البئر ليلاً يرى البدر فيهـا في الليالي المقمرة. وعـلى أي حال فهذه روايـات مختلفة تناقلها الناس عبر التاريخ مع أن الأسماء لا تعلل, لكن بدراً مهما كان اسمها وشـهرتها قبل المعركـة، فإنها إنمـا عرفت واشـتهرت وهب صوتها مدوياً عبر التاريخ بعد معركة غزوة بدر، وما حقق الله فيها من نصر وفلاح، أنجز فيه وعده ونصر جنده وأعز رسوله صلى الله عليه وسلم وصحبـه, وأذل الشرك وأهله, فعرفت بدر بعدها, وتعرف بهذا الشرف العظيم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.**

# موقع مدينة بدر اليــوم

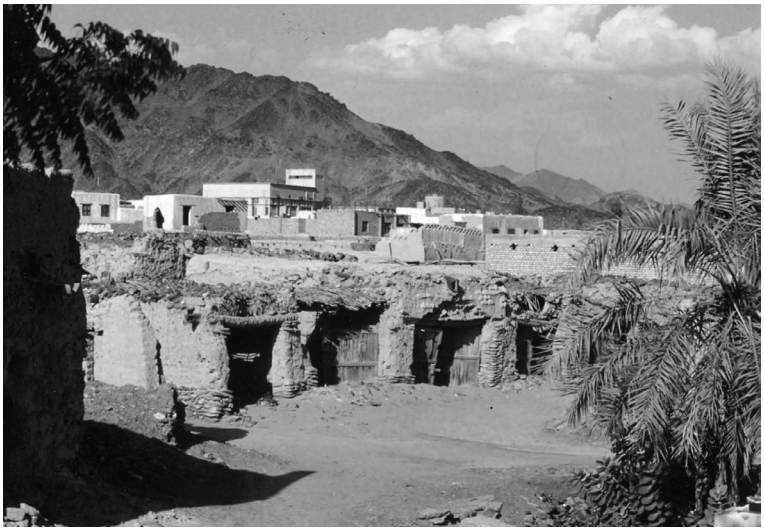

جانب من مدينة بدر القديمة

**تقــع مدينــة بدر اليــوم على خط الإســفلت الذي يربــط مدينة جدة بالمدينة المنورة، وتبعد مدينة بدر عن المدينة المنورة مســافة 153 كيلو متراً, وهي جنوب غربي المدينة المنورة، كما تقع في شمال مكة المكرمة وتبعد عنها بمسافة 300 كيلو متر تقريباً.**

**ومدينــة بدر اليوم هي مركز لمنطقة بدر، وهي مركز وادي الصفراء وتقع على مفترق الطرق بين مكة المكرمة وجدة وينبع.**

**ومــن يدخــل إلى مدينة بدر اليــوم يلاحظ أنها مدينــة هادئة تقع في ســهل بدر، ويمر بها طريق المدينة المنورة القديم وهي منطقة مهمة**

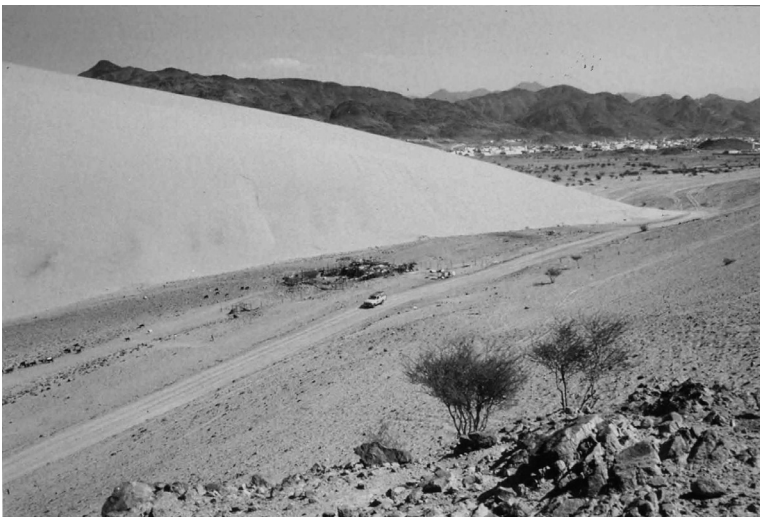

الحنان

**اليوم للمسافرين إلى شمال المملكة وإلى مدينة ينبع وغيرها, وإذا وقف الإنسان في وسط مدينة بدر يلاحظ مسجد العريش وهو مسجد جميل بني في نفس المكان الذي كان به عريش المصطفى صلى الله عليه وسلم, ويمكن أن يرى الإنسان العدوة الدنيا ويمثلها كثيب الحنان المرتفع في شمال مدينة بدر, والمسافة بين مسجد العريش وكثيب الحنان في العدوة الدنيا تبلغ 4 كيلومترات, والمسافة بين مسجد العريش وكثيب العقنقل في العدوة القصوى بجوار جبل كراش تبلغ 6 كيلومترات, وتشاهد العدوة القصوى وأمامها كثيب العقنقل الذي عسكرت عنده قريش، وهو في الجنوب الغربي من بدر.**

# سبب اختيار مكان الغزوة

هـذا المـكان تمت فيه الغـزوة أولاً وقبـل كل شيء بسـابق علم الله وتقديره؛ لأن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أصـلاً لم يخرج لقتال كما هو معلوم، وسوف يأتي تفصيل ذلك في مكانه إن شاء الله. ولكن عنـد تـدارس مكان الغـزوة نلاحظ أن مـاء منطقة بدر ماء مشـهور ومعروف وسوق من أسـواق العرب تمر بها القوافل التجارية، وكذلك كانت بعض المناسبات الشـعرية ومواسم اللهو والغناء تتخلل أسواق التجارة وتعقبها، مما أكسب المكان شهرة.

وكان خروج رسـول الله صلى الله عليه وسـلم تحركاً إسـتراتيجياً مناسباً للقاء القافلة، وإرهاب قريش وأخذ ما تحمله قافلتهم تعويضاً للمسلمين عن بعض ما استولى عليه المشركون، ولكن إرادة الله شاءت أن تفلت القافلة ويهرب بها أبو سـفيان إلى ساحل البحر الأحمر، وإلا فكان من الممكن أن تُكسر شـوكة قريش التجارية في هذا المكان بدون قتال وتتسامع العرب بذلك ويذاع الخبر, وفيه ما فيه بالنسبة لإرهابهم وإشعارهم بقوة المعسكر الإسلامي في المدينة المنورة.

ومـن الناحية الثانية فقد حرص أبو جهل عـلى أن يبلغ بدراً ويقيم فيها ويذل المسلمين ويشعرهم بغطرسته وخيلاء قومه, وحتى عندما بلغـه خبر نجاة القافلـة أصر على مواصلة المسـير إلى بدر حتى يثبت قوته وقومه وجبروتهم, وقال قولته المشـهورة التي أودت به وبقومه وأوردتهـم موارد الهلاك: «والله لن نعود حتى نرد ماء بدر فنقيم عليه

ثلاثاً فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها, فامضوا»[1]. فكان اللقاء الذي دبرته الحكمة الإلهية.

(ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم) - الأنفال: 42.

وإذا لم يكن هناك خيار أو اختيار لمكان الغزوة والقتال فرسول الله صلى الله عليه وسلم خرج للقاء القافلة, وقريش خرجت لحماية قافلتها والتهويش[2] على النبي صلى الله عليه وسلم وإرهابه وصحابته ثم العودة في خيلاء لمكة, ولكنها إرادة الله حددت الزمان والمكان ودبرت اللقاء والقتال، وكانت النتيجة التي قدرها الله عز وجل بسابق علمه, فمكان الغزوة إذاً كان اختياراً إلهياً شرف به الزمان والمكان.

(1) سيرة ابن هشام ج1 ص 618.

(2) التهويش: هو التهييج وإثارة الاضطراب.

# الفصل الثاني

# غزوة بدر.. مقدمات وأسباب

## إرهاصات غزوة بدر

خلال المدة التي انقضت بين هجرة الرسـول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وموقعة نخلة -خمسـة عشر شـهراً تقريباً- كان عليه الصلاة والسلام قد كون الأمة وحصن وطنها -المدينة المنورة- بالإيمان والأخوة وروح الفـداء، وجمع الناس جميعاً على شريعة واحدة وعرف واحد في التعامل، وأدخل قبائـل الحجاز (جهينة وبلي وضمرة) في حلف المدينة أو في الإسـلام حسـبما يتيسر ذلك. وأوقف التجارة المكية إلى الشـام أو كاد، فقبـض بذلك عـلى عنق أهل مكة. فخرج بنفسـه في عدة غزوات صغيرة، وأرسـل أصحابه في بعوث، وإن كانت هـذه الغزوات والبعوث -أغلبها- لم يلق كيداً, ولكنها أشـعرت قريشـا وقبائل الحجاز بتحول المسلمين عن سياسة المهادنة والملاينة إلى سياسة المواجهة العسكرية والاقتصاديـة، ووقف غارات صعاليـك العرب على المدينة وسرحها، بل الخـروج بجيش لاسـترداد بعض الحق المسـلوب، أو لوقـف التعرض لرسـل النبي صلى الله عليه وسلم ودعاته وللراغبين في دخول الإسلام، فكانت هـذه السرايا الأربع[1]، والغـزوات الأربع[2] تمهيـداً لغزوة بدر

(1) سرية حمزة بن عبد المطلب وسرية عبيدة بن الحارث وسرية سعد بن أبي وقاص وسرية نخلة.
(2) غزوة ودّان وبواط وغزوة بدر الأولى وغزوة العشيرة

وما بعدها، وتدريباً وتمريناً للمسلمين قبل الدخول في المعارك الكبيرة (مناورات بعرف المحدثين), واستكشافاً وفحصاً ودرساً لدروب الصحراء من حول المدينة وموقف القبائل من المسلمين، وربما لتأليف رجال القبائل ومهادنتهم وإدخالهم في الإسلام أو في حلف الإسلام، فأصبحوا إما مسلمين وإما معاهدين. وانطلق أصحابه صلى الله عليه وسلم يجولون في الصحراء حول المدينة، يعلنون أن أمة الإسلام قد بزغ فجرها وانبثق نورها.

ويقال لها بدر العظمى، ويقال لها بدر القتال، ويقال لها بدر الفرقان؛ لأن الله فرق بها بين عهدين للمسلمين, ولأن الله فرق بها بين الحق والباطل، وهي أول معركة يخوضها المسلمون ضد كفار مكة في جيش منظم, فقد كانوا كما هو معروف يلتزمون الهدوء والسلام، والدعوة إلى الله بالحسنى إذ لم يؤمروا بقتال, ولم يؤذن لهم فيه. فما إن نزلت الآية: (أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) - الحج: 39, وتجمعت الأسباب الداعية لوقوع المعركة في المكان والوقت اللذين اقتضتهما مشيئة الله حتى تحركت جيوش النور والإيمان من المدينة المنورة لسبب غير القتال، وتحركت جيوش الكفر والظلام من مكة لنجدة أبي سفيان - وكانت مشيئة الله. أما الأسباب التي تجمعت وجعلت وقوع معركة بدر أمراً محتوماً، فيمكن أن نوجزها فيما يلي:

أولاً: تطور الصراع بين الحق المسلم والباطل الكافر، وخروجه من

طور الملاينة والمحاسنة والجهاد بالدعوة إلى الله بالحسنى وتحمل أذى المشركين والصبر عليه؛ إلى المواجهة ورفض ظلم المكيين المشركين خصوصاً بعد أن اشتد الأذى لمن بقي من المسلمين في مكة.

ثانياً: استولى المشركون على دور المسلمين في مكة وأموالهم بعد هجرتهم ولا بد للمسلمين من التفكير في استعادة هذه الأموال أو جزء منها.

ثالثاً: إحساس قريش بتزايد الخطر من حولها وتهديدها تهديداً كبيراً بعد استقرار المسلمين في المدينة، وإيواء الأنصار للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه، واستعدادهم للتضحية بالنفس والمال للدفاع عن الإسلام.

رابعاً: تمركز النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وسيطرتهم على طريق حيوي لا تستطيع قريش أن تستغني عنه وهو طريق مكة وتجارتها مع الشام.

خامساً: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم السرايا وخرج بنفسه في بعض الغزوات السريعة إلى ما حول المدينة للاستطلاع والاستكشاف وتأليف القبائل حول المدينة.

ويمكن أن نضيف أموراً دفعت للمعركة بشكل يعتقد فيه كل من اطلع عليها أن المعركة واقعة لا محالة (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين, ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) - الأنفال: 8-7.

وخلاصة القول: لابد من وقوع الصدام بين هذين المعسكرين المختلفين المتناقضين؛ لأن التعايش بين الإسلام ونوره وبين الكفر والشرك والظلم والظلام إلى ما لا نهاية من المستحيلات، فالمسلمون يريدون للشرك أن ينتهي من جزيرة العرب، مهما كانت التضحيات والجهود في هذا السبيل.

المشركون المعاندون يريدون القضاء على الإسلام بأي ثمن ليحتفظوا بمصالحهم ونفوذهم في مكة وجزيرة العرب كلها, وكانوا هم الذين بدؤوا بالظلم والاعتداء وسلب الأموال ومصادرة الحقوق، وكل هذا وغيره في سبيل تخويف أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانه وإرهابهم والعمل على القضاء على معسكر الإسلام في المدينة المنورة، فكان لابد من خطوات فعالة ومؤثرة وإستراتيجية يقوم بها المعسكر الإسلامي في المدينة المنورة بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُشعر هؤلاء الظالمين بأن المسلمين أصبحوا قادرين على رد الظلم وتعطيل تجارة قريش، وإرهاب قوافلها وشل حركتهم الاقتصادية، وكل هذا إنما يأتي كرد فعل طبيعي ومنطقي على أفعال ومظالم معسكر مكة وما يفعله بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانه, وقبح الله من يسمي هذا الإجراء قطع طريق لأنه دفاع عن النفس ورد فعل عادل لظلم بيّن.

# غزوة بدر الكبرى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في غزوة العشيرة يريد اعـتراض عير لقريش خارجة إلى الشـام، فمـرت القافلة قبل وصوله بأيام ولم يلحقها، فعاد بأصحابه إلى المدينة ينتظر ويتحسـس أخبار عودة القافلة من الشـام، وأرسل بسـبَس عيناً ينظر ما صنعت العير بقيادة أبي سـفيان، فجاءه وأخبره بقفول أبي سـفيان من الشـام في قافلـة عظيمـة فيها ألف بعـير محملة بتجارة قريش يحرسـها معه ثلاثـون أو أربعون رجلاً عـلى أكثر التقديرات في ذلك, منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص.

ها قد سنحت الفرصة التي كان ينتظرها المسلمون ليستردوا بعض أموالهـم المغصوبة في مكـة وأموالهم وديارهم التـي تركوها مرغمين كارهين فاسـتولى عليهـا أبو جهل وأمثاله من أهـل البغي والظلم من قريش.

ولم يكن خروجه لقطع الطريق ونهب الأموال كما زعم المستشرقون المغرضون, بل كان عملاً حربياً مشروعاً تقره جميع الشرائع السماوية, بل وتقره أعـراف الحرب في العصر الحديث، فهؤلاء قوم اعتدي عليهم ونهبت أموالهم وأخرجوا من ديارهم, ثم هذا عدوهم يصر على عداوته لهم ويتمادى في العدوان عليهم وتحريض القبائل على عداوتهم, وهذه أمواله التي يتقوى بها عليهم, أليس من العدل والحكمة أن يعملوا على

إضعافه بالاستيلاء على بعض هذه الأموال؟ جميع الأعراف الدولية في العصر الحديث تتيح للدولة مصادرة أموال أعدائها المحاربين لها، فضلاً عن كون هذه الأموال لو أخذت تعتبر تعويضاً عن بعض الأموال المنهوبة منهم في مكة.

## خروج المسلمين للقاء قافلة أبي سفيان

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين والأنصار للخروج لملاقاة هذه القافلة، وقال لهم: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»، واستحث كل من كان ظهره حاضراً بالمدينة لسرعة الخروج حتى لا تفوتهم القافلة كما حدث في غزوة العشيرة، ولم ينتظر من لم يكن ظهره حاضراً. على أن بعض أصحابه

العريش ومقابر الشهداء في وسط الوادي

رغبوا إليه صلى الله عليه وسلم في الانتظار حتى تعود ركائبهم من علو المدينة، فقال: «لا إلا من كان ظهره حاضراً»، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تخلف هؤلاء بأساً، لأنهم لم يكونوا يتوقعون حرباً ولا قتالاً، بل كانوا يتوقعون لقاء قافلة يحرسها عدد قليل (أربعون رجلاً).

خرج المسلمون بعد مضي ثمان ليال من رمضان -قيل تسع وقيل عشر ليال وقيل اثنتا عشرة ليلة-, وساروا حتى بلغوا بيوت السقيا خارج المدينة أو بئر أبي عتبة على بعد نحو ميل من المدينة, وهناك ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معسكره واستعرض من معه وعدهم ورد صغار السن الذين توسم فيهم عدم القدرة على القتال وتحمل مشقة الطريق الطويل. فكان ممن رد: عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت.

ورد أيضاً عمير بن أبي وقاص، وكان عمره يومئذ خمس عشرة سنة أو ستة عشر عاماً، فبكى عمير فأجازه صلى الله عليه وسلم فقاتل وقتل في بدر.

وسار عليه الصلاة والسلام في رفقة تضم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه اختلف في عددهم اختلافاً كثيراً, فمن أصحاب السير من عد الذين تخلفوا لعذر وضرب لهم بسهم من الغنائم، ومنهم من عد المشاركين في القتال فقط, وأرجح الأقوال أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم عدهم عند الرواء فوجد

عدتهـم ثلاثمائة وثلاثـة عشر رجلاً ففـرح بذلك وقال: «عـدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر».

عـن الـبراء بن عازب قال: اسـتصغرت أنـا وابن عمر يوم بـدر, وكان المهاجـرون نيفاً على السـتين والأنصـار نيفاً وأربعـين ومائتين. أخرجه البخاري

وكان ممن تخلف، وأسـهم له من المهاجريـن: عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فقد أذن له صلى الله عليه وسـلم ليباشر تمريض زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفيت. وطلحة بن عبيدالله, وسـعيد بن زيد؛ بعثهما رسـول الله صلى الله عليه وسلم يتحسسان له خبر العير فعادا بعد انتهاء المعركة.

وتخلف وأسـهم لـه من الأنصار: أبـو لبابة بن عبدالمنذر؛ رده رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم من الروحاء، واسـتخلفه عـلى المدينة, وكان قد اسـتخلف ابـن أم مكتوم على الصلاة قبل خروجـه. وعاصم بن عدي العجلاني؛ رده عليه الصلاة والسـلام من الروحاء، واسـتخلفه على قباء والعالية من ضواحي المدينة. والحارث بن حاطب العمري؛ رده صلى الله عليه وسـلم من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف ليتحقق من أمر كان قد بلغـه عنهم. والحارث بن الصمة، وخوات بـن جبير؛ كسرا عند الروحاء فقعـدا. أما سـعد بن عبادة فقـد كان يطوف بيوت الأنصار يسـتحثهم للخروج، وقد كان حريصاً عليها كما قال رسول الله صلى الله عليه: «لئن كان سـعد لم يشـهدها لقد كان حريصاً عليها»؛ وقد تخلف لأنه نهشته

حية قبل خروجه، فقعد.

هـذا وقد قيل في بعض الروايـات إن جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن عمرو قد ضرب لكل منهما بسهم, كما روي أن أنس بن مالك قد حضر بدراً على صغر سـنه وضرب له بسـهم. ومن هنا جـاء الخلاف في عدة البدريـين. وقد جاء حبيب بن يسـاف مع أبناء عمومته من المسـلمين ليشـاركهم في القتـال والغنيمـة، وكان مشركاً كمـا كان محارباً قوياً صنديداً ذا غناء وحين رآه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تؤمن باللـه ورسـوله» قال: لا، فرده وقال: «لا ننتـصر بأهل الشرك على أهل الـشرك», ثم لحقهم مرة ثانية، فسـأله عليه الصلاة والسـلام: «تؤمن بالله ورسوله» فقال: لا، فرده مرة ثانية, وفي المرة الثالثة سأله: «تؤمن بالله ورسـوله» قال: نعم، وشـهد الشـهادتين, فقبله صـلى الله عليه وسلم، وقاتل قتالاً شديداً, وكان بطلاً صنديداً ذا غناء وبأس.

وبعـض المحدثـين يقولـون: إن حبيـب بن يسـاف لحق بالمسـلمين بالروحاء مسـلماً، وهذه الرواية أقرب إلى العقل والمنطق. ولا مانع من أن تكون المرة الثالثة التي قبله النبي صلى الله عليه وسـلم بعدها هي قدومه إلى الروحاء مسلماً.

والذي يهمنا هنا هو الدرس العظيم الذي تعلمناه من رسول الله صلى الله عليه وسـلم حين رفض أن يسـتعين بمشرك في هذه المعركة, وقال قولته الشهيرة -بأبي أنت وأمي يا رسول الله- حيث قال في إباء وشمم وشـعور بالعزة والتأييد من الله عز وجل: «لا ننتصر بأهل الشرك على

أهل الشرك», هكذا رفض عليه الصلاة والسلام هذا العرض وأرسلها مدوية عظيمة تعلم الأجيال المسلمة عبر التاريخ أن من توكل على الله حق التوكل فلن يحوجه الله إلى الاستعانة بمشرك ولا كافر وسيكون النصر والتأييد من الله عز وجل.

سار النبي وأصحابه يعتقبون سبعين بعيراً، كل ثلاثة أو أربعة على بعير يعتقبونه، فكان صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد يتعاقبون على بعير، ولقد أرادا أن يتحملا عنه المشي وأن يستمر راكباً, فقال لهما صلى الله عليه وسلم: «ما أنتما بأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»[1], وكان هذا دأبه وديدنه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يتميز على أصحابه بشيء، ويقدم لهم دائماً الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة لهم وللأمة الإسلامية بأسرها.

وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاقبون بعيراً.

وعبيدة بن الحارث والطفيل والحصين ابنا الحارث ومسطح بن أثاثة يتعاقبون ناضحاً لعبيدة.

عن معاذ بن رفاعة الأنصاري عن أبيه قال: خرجت أنا وأخي خلاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير لنا أعجف حتى إذا كنا موضع البريد الذي خلف الروحاء نزل بعيرنا فقلت: اللهم لك علينا لئن

---

(1) رواه أحمد والبزار.

أدنينا إلى المدينة لننحرنه، فبينما نحن كذلك إذ مر بنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما لكما»؟ فأخبرناه أنه نزل علينا, فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم بصق في وضوئه وأمرنا ففتحنا له فـم البعير، فصب في جوف البكر من وضوئـه ثم صب على رأس البكر, ثـم على عنقه, ثم على حاركه (ما يلي الرقبة), ثم على سـنامه، ثم على عجزه, ثم على ذنبه، ثم قال: «اللهم احمل رافعاً وخلاداً», فمضى رسول الله صلى الله عليه وسـلم، وقمنا نرتحل فارتحلنا، فأدركنا النبي صلى الله عليه وسـلم على رأس المنصف, وبكرُنا أول الركب، فلما رآنا رسول اللـه صلى الله عليه وسـلم ضحك, فمضينـا حتى أتينا بـدراً، حتى إذا كنـا قريباً من بدر[1]، نزل علينـا، فقلنا: الحمد لله، فنحرناه، وتصدقنا بلحمه[2].

وعند عرق الظبية لقوا رجلاً فسـألوه وقالوا: كلم رسـول الله فقال: أنت رسـول الله؟ فقال عليه الصلاة والسـلام: «نعم», فقال الرجل: إن كنت رسول الله فأخبرني ما في بطن ناقتي هذه؟ فتقدم منه سلامة بن سلمة ابن وقش، فقال: لا تسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عـلي أنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها ففي بطنها منك سـخلة, فغضب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وقال: «مه أفحشـت عـلى الرجل»

(1) كذا في الأصل، ولعلها قريباً من المدينة.
(2) رواه البزار، وروى الطبراني بعضه.

وأعرض عنه[1]. وسنعود لهذه القصة.

وسار المسلمون حتى بلغوا وادي ذفران وهو واد قريب من الصفراء, فنزل المسلمون بهذا الوادي. وجاءهم الخبر بخروج قريش للذود عن القافلة التي كان فيها كل أموالهم فليس هناك بيت في مكة إلا وله مال وتجارة في هذه العير.

تغير الموقف فبعد أن كان الناس قد خرجوا لملاقاة العير وليس فيها سوى ثلاثين أو أربعين رجلاً على أكثر التقديرات صار الأمر احتمالاً لملاقاة جيش كبير كثير العدد مكتمل العدة, فها هي ذي قريش خرجت عن بكرة أبيها تدافع عن ثروتها وحياتها، فتجارة الشام وطريق القوافل وأمنها أهم من كل شيء عند القرشيين.

لم يكن الموقف مفاجئاً عند النبي صلى الله عليه وسلم, فقد وعده الله إحدى الطائفتين, العير أو النفير. فاحتمال الحرب قائم عنده صلى الله عليه وسلم, ولا شك أنه موقن بنصر الله إن كانت العير أو النفير, ولكنه لا بد أن يضع المثل والقدوة للمسلمين وأئمتهم وحكامهم, فهذا موقف جديد يجب أن يقدم الناس عليه راضين مطمئنين إلى نصر الله, وهم مستعدون عن طيب خاطر لبذل المهج والأرواح في نصر الدين وإعلاء كلمة الله.

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعرض عليهم الموقف

---

(1) ابن هشام ص 613.

الجديد وطلب أن يسمع رأيهم فيه حتى يستوثق من استعدادهم لملاقاة عدوهم في معركة حاسمة ستغير وجه التاريخ لا في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم أجمع، معركة هي تحول كبير في علاقات المسلمين بقريش ومشركي مكة، والقبائل من حول مكة والمدينة، معركة هي معلم من معالم تاريخ الأمة الإسلامية, معلم واضح سيظل خالداً على الدهر وإن انمحت من حوله معالم كثيرة.

أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبه بخروج قريش، وتوقع نشوب المعركة، وسألهم: «فما تقولون, العير أحب إليكم أم النفير؟» فقالت طائفة منهم: العير أحب إلينا, وقالت طائفة: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب.

وفي رواية قالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو.

عن أبي أيوب الأنصاري قال: وكان ذلك سبباً في نزول الآية: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) - الأنفال:5.

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بعد أن عرض عليهم الموقف الجديد قائلاً: «أشيروا علي أيها الناس», فانبرى الصديق فتكلم وأحسن وعبر عن استعداد المسلمين للتضحية، ثم تكلم عمر بن الخطاب فقال قولاً طمأن النبي على قوة وثبات المهاجرين, وقال: يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كرت، والله لتقاتلنك، فتأهب لذلك أهبته، وأعد لذلك عدته. فقال عليه

الصلاة والسلام: «أشيروا علي أيها الناس», فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسـول الله امـض لما أمرك الله فنحـن معك، واللـه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون», ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحـق، لو سرت بنا إلى برك الغماد (باليمن أو الحبشـة) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه, فدعا له رسول الله بخير[1].

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي أيها الناس»، يريد الأنصار لأنهـم بايعوه على النـصرة والحماية في ديارهم وبـين ظهرانيهم، فقد قالـوا حين بايعوه عند العقبة: يا رسـول الله إنـا براء من ذمامك حتى تصـل إلى دارنا، فإذا وصلت فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا.

فلما كرر النبي صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي أيها الناس» بعد أن سمع مقالة أصحابه من المهاجرين، وعرف قبولهم وتسليمهم المطلق بـل وتأييدهم لما أمر بـه؛ أدرك الأنصار أنه يعنيهم بهـذا الطلب، وأنهم النـاس الذين يطلب مشـورتهم, فقال سـعد بن معاذ: لعلـك تريدنا يا رسـول الله؟ فقال: «أجل», فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن مـا جئت به هو الحـق, وأعطيناك على ذلك عهودنـا ومواثيقنا على السمع والطاعة, فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك, والذي بعثك

(1) ابن هشام ص 614/615.

بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجـل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا, وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك, فسر بنا على بركة الله[1].

قائد عظيم ملهم يدرك أن الجندي إذا آمن واطمأنت نفســه إلى عدالة القضية التي يخوض من أجلها المعارك, وأنها معركة الحق والعدل ضد الظلم والبغي، وآمن بضرورتها لإحقاق الحق وإبطال الباطل؛ لم يغلها النفــس والمهجة يبذلهمــا مسروراً لا مطمع له إلا النصر أو الشــهادة. وقــد كان جند الإســلام في معركة بــدر من هذا الصنف، يســترخصون بذل النفس والمال في رضا الله ورســوله، آمنوا بالله ورسوله، وصدقوه ونصروه, وهم على عهدهم ووعدهم حتى يلاقوا ربهم، رضي الله عنهم ورضوا عنه. هذا حال قائد المسلمين وجنده في زمان كان الروم والفرس يسوقون جندهم إلى الحرب على رغم أنوفهم حتى لقد كانوا يقرنونهم في السلاسل حتى لا يفروا من المعارك.

سر رســول الله صلى الله عليه وســلم, واستراحت نفسه لقول سعد بن معاذ, واستبان له موقف الأنصار، واستعدادهم لملاقاة قريش ومن معها خارج ديارهم، فقال: «ســيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم».

عقد رســول اللــه صلى الله عليه وســلم الألوية وهــي ثلاثة، وأظهر

---

(1) ابن هشام ص 615.

السلاح، وكان قد خرج من المدينة على غير لواء معقود.

حمل مصعب بن عمير اللواء الأبيض، وعلي بن أبي طالب راية سوداء, والحباب بن المنذر راية سوداء[1].

ثم ارتحل المسلمون من وادي ذفران في طريقهم إلى بدر, وعند الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسميهما فقالوا: مسلح ومخرئ يسكنهما بطنان من بني غفار يقال لهما بنو النار وبنو حراق, فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الطريق ومال يساراً يعبر مضيق الصفراء في طريقه إلى بدر[2].

وقد ضاق عليه الصلاة والسلام بهذه الأسماء القبيحة, فقد كان يحب الحسن من الأسماء، ولا يحب القبيح منها, وغيّر كثيراً من أسماء الصحابة التي سموا بها في الجاهلية إلى أسماء حسنة تنشرح لها الصدور وتسر الخواطر.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بحسن اختيار الأسماء لأبنائهم, ويعلمهم أنه حق الأبناء على آبائهم.

وعند الدّبّة قريباً من بدر خرج عليه الصلاة والسلام بنفسه ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عملية استطلاع لميدان المعركة وللتعرف على أخبار العدو قبل وصوله, حتى وقفا على شيخ من العرب اسمه

(1) سيرة ابن هشام عن ابن إسحق ص 612.
(2) سيرة ابن هشام ص614.

سفيان الضمري، فسألاه عن أخبار قريش، وعن محمد وأصحابه، وما علمــه من أخبارهم. قال الشــيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أخبرتنا أخبرناك», فقال: أو ذاك بذاك؟ فقال: «نعم», قال الشيخ: إنه قد بلغني أن محمداً وأصحابه قد خرجوا من المدينة يوم كذا وكذا, فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم الآن بمكان كــذا وكذا، وحدد المــكان الذي كان المســلمون فيه. وبلغني أن قريشــاً خرجوا يوم كذا وكذا, فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي كانوا فيه.

فلما فرغ من خبره عاد يسأل: فمن أنتما: فقال عليه الصلاة والسلام: «نحن من ماء», وأشار بيده إلى العراق وانصرفا والشيخ يسأل: من ماء العراق؟ أخبره عليه الصلاة والسلام صادقاً أنهما من ماء, وفهم الشيخ ما تبادر إلى ذهنه وهو ماء العراق[1].

رجع رســول الله صلى الله عليه وســلم إلى أصحابه وقد تأكد له خبر خــروج قريش لملاقاته وحمايــة أموالهم, وبات عليه أن يســتعد لهذه الحرب التي ســتقرر مصير الأمة الإســلامية, فهو إمــا النصر وخروج الإسلام من هذا المحيط الضيق المحدود، ومن هذا الحصار الذي تفرضه قريــش عليهم، رغم أنهــم تركوا مكة أحب أرض الله إليهم، ومســقط رؤوســهم ومثوى آبائهم وأجدادهم, وفيها أموالهم ومساكنهم والبيت

(1) ابن هشام ص 66.

الحــرام الذي جعلــه الله مثابة للناس وأمناً؛ وإمــا أن يعودوا إلى المدينة لليهود وأهل الشرك والنفاق الذين يتربصون بالإسلام والنبي الدوائر.

واصل المســلمون ســيرهم حتى نزلوا وادي بدر شمال الكثيب الرملي بعيداً عن الماء بينهم وبينه رحلة, وفي المســاء بعث النبي صلى الله عليه وســلم سرية استطلاع فيها علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ونفر من أصحابه يســتطلعون له ماء بدر ويتحسسون عنده الأخبار، فوجدوا ســقاة قريش جاؤوا في طلب الماء, وفيهم أســلم غلام بني الحجاج، وعريض غلام بني العاص بن سعيد، وأفلت ثالثهم.

فعادوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألوهما والرسول يصلي, فقالا نحن ســقاة قريش بعثونا نحضر لهم الماء, فضاق القوم بهذا الخبر وأحبوا لو كانوا ســقاة العــير، فضربوهما حتى أوجعوهما قــالا: نحــن لأبي ســفيان فتركوهمــا، فتكــرر ذلك مــرات حتى قضى رســول الله صلى الله عليه وسلم صلاته وانصرف منها بالسلام, وقال لأصحابــه: «إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش»[1].

ثم سألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش, قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى, فقال صلى الله عليه وســلمك «كم القوم؟» قالا هم كثير عددهم، عظيم بأسهم, قال: «ما عدتهم؟» قالا:

---

(1) سيرة ابن هشام ص617.

ما ندري, قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال عليه الصلاة والسلام: «القوم ما بين التسعمائة والألف»؛ فالبعير ينحر ويكفي مائة، ثم سأل: «فمن فيهم من أشراف قريش».

قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وأمية بن خلف, ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث, وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود.

وأقبل عليه الصلاة والسلام على الناس وقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها»[1]. وكان الساقي الذي أفلت من الأسر قد فر إلى قريش فأخبرهم خبر وصول المسلمين إلى بدر، وقال: يآل غالب, هذا ابن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سقاءكم, فماج المعسكر وكرهوا ما قال، حتى لقد عافت نفوسهم الطعام.

نزلت قريش ومن معها بالعدوة القصوى قريباً من الماء، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعيداً عن الماء بينهم وبين الماء رحلة فظمئ المسلمون، وأصابهم ضيق شديد، وأجنب بعضهم فلم يجدوا ماء للاغتسال، وألقى الشيطان في نفوسهم الغيظ فوسوس إليهم: تزعمون أنكم أولياء الله وأنكم على الحق، وها قد غلبكم المشركون على

(1) ابن هشام ص 617.

الماء، وأنتم عطاش وتصلون مجنبين، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم، ويذهب بقواكم، فيحكموا فيكم كيف شاؤوا, فحزنوا حزناً شديداً، وأشفقوا، وكان الوادي دهساً ليناً كثير التراب تسيخ فيه الأقدام, فبعث الله السماء ونزل المطر فسكن الغبار وتلبدت الأرض، وطهرهم الماء وأذهب عنهم رجز الشيطان (وسوسة الشيطان), فشربوا واغتسلوا وتوضأ من أراد الوضوء، وملئت الأسقية وطابت النفوس، وتلبدت الأرض تحت أرجلهم فسهل عليهم المسير وسهلت حركتهم، وانشرحت صدور المؤمنين واطمأنت قلوبهم إلى نصر الله وتأييده لهم.

وأصاب المطر قريشاً فزلقت الأرض وامتنع عليهم المسير لم يستطيعوا الوصول إلى الماء، فكان المطر قوة ونعمة للمؤمنين، نقمة على الكافرين وبلاء: (وينزّل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) - الأنفال: 11.

ولا شك أن نزول المطر في تلك الليلة كان نعمة بالنسبة لمعسكر المسلمين ونقمة وبلاء بالنسبة لمعسكر المشركين، وقد وقفت بنفسي في مكان معسكر المشركين وأنا قادم من الخط الإسفلتي القديم الذي يربط جدة ببدر, وعندما اقتربنا أنا ومن معي من الإخوان ومجموعة من المصورين من بدر وأشرفنا على المدينة من فوق آخر جبل يطل عليها وهو على يمين الخط, وفيه منزل لرجل من أهالي بدر اسمه عطية الصبحي، وشاهدنا مكان معسكر قريش حيث تغطيه اليوم

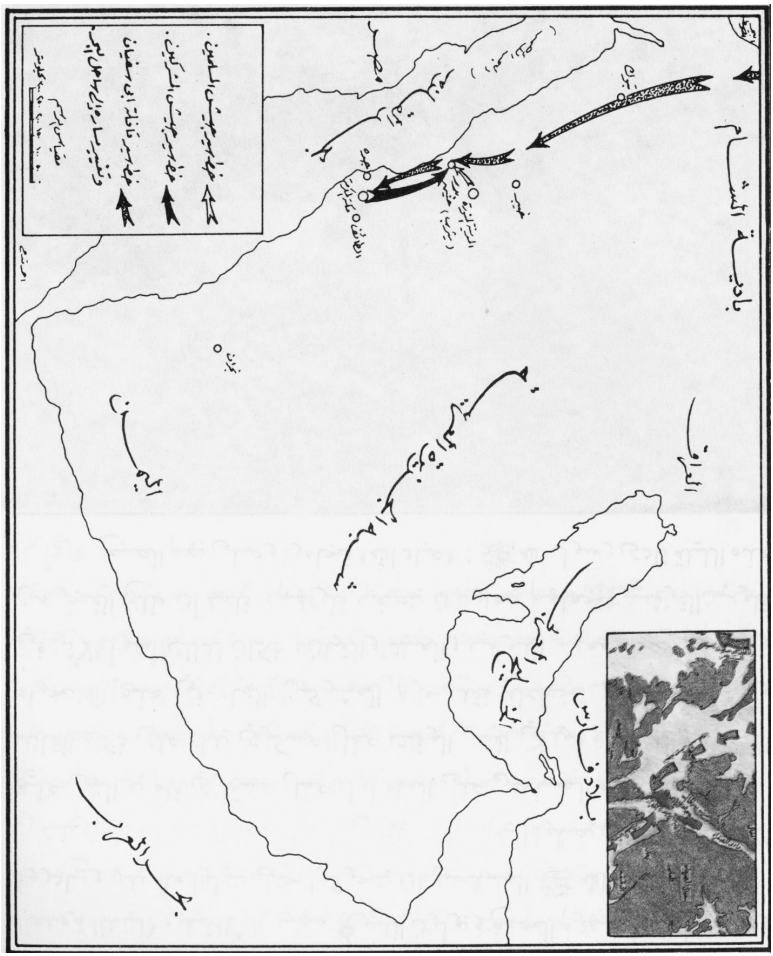


خارطة تبين مسار جيش المسلمين والمشركين وقافلة أبي سفيان

**مجموعة كثيفة من أشجار النخيل مما يدل على أن الأرض طينية زراعية لما هطل عليها المطر أصبحت زلقاً فلم يستطيعوا السير عليها،**

وأصبحت دوابهم تنزلق أيضاً، وكما ذكرت أن من يشـاهد الأرض اليوم يـدرك صعوبة الوضع الذي كانـوا فيه في تلك الليلة، وهذه المنطقة التي كانوا فيها هي بين العـدوة القصوى وأمامها تل العقنقل الرملي، ومن الناحية الثانية مكان المعركة التي تقدموا إليها في الصباح.

عـن علي رضي الله عنه قـال: لقد رأيتنا يوم بدر ومـا منا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح، فكان يدعو ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد».

عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسـلم يوم بدر: «اللهم إني أنشـدك عهدك ووعدك, اللهم إن شئت لم تعبد», فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، فخرج، وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر).

وأمـر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم المسـلمين أن يتحركوا حتى ينزلوا ماء بدر ويبادروا المشركين قبل أن يصلوا إليه.

وكان استيلاء المسلمين على الماء أول عمل عسكري قام به النبي عليه

جبل العقنقل ( العدوة القصوى) حيث نزل المشركون

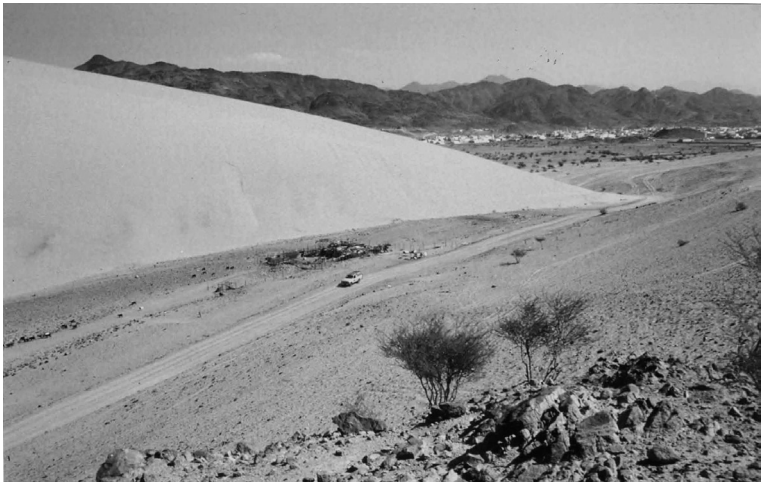

الطريق الموصل إلى بدر وعلى يمينه كثيب الحنان وهو الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم

**الصلاة والسلام وهو في نفس الوقت عمل عسكري يدل على ذكاء القائد ومقدرته وحسن تخطيطه فقد حرم المشركين الماء في هذه الصحراء وعددهم كبير ومعهم الدواب والعبيد والقيان، فكان لذلك أسوأ الأثر في قلوب القرشيين جعلهم يحاربون بنصف قلوبهم، فلما أن طلع الفجر من هذه الليلة نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عباد الله» فجاؤوا وصلى بهم الصبح, وحرضهم, ثم عقد مجلس المشورة للمرة الثانية, وطلب إلى الناس أن يشيروا عليه في هذا المنزل، وكان قد نزل على أدنى ماء من بدر بالنسبة للمدينة (العدوة الدنيا) وبقية الآبار بينهم وبين قريش، فتقدم الخباب بن المنذر ابن الجموح -وهو أنصاري جليل من بني سلمة من الخزرج، وكان ذا بصر ورأي في شؤون المعارك- تقدم**

يسأل النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أرأيت المنزل أمنزل أنزلكه اللــه ليــس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هــو الحرب والمكيدة؟ فقال عليه الصلاة والســلام: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال الخباب: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القــوم (قريش) فننزله ثم نغــور ما وراءه من القلب (جمع قليب وهو البــئر) ثم نبني حوضاً، ونملؤه ماء فنشرب ولا يشربون, فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أشرت بالرأي».

نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وساروا حتى أقرب بــئر من القوم فنزلــوا عليه، ثم أمر بالقلب التــي أصبحت خلف جيش المسلمين فغورت أي ردمت أو زيد في عمقها فبعد ماؤها وتعذر الوصول إليهــا, وبني الحوض على القليب الذي نزلــوا عليه, فملئ بالماء وقذفوا فيه بآنيتهم[1].

وفي كلام بعض كتاب السيرة أن المسلمين نزلوا على هذا القليب نصف الليل، فبنــوا الحوض، وقذفوا فيه بالآنية واســتقوا مــن قبل الصباح، وكان ســعد بن معاذ رضي الله عنه قد قال للنبي صلى الله عليه وســلم حين وصلوا إلى هذا الموقع: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه وعنــدك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك لحقت بمن وراءنا

(1) سيرة ابن هشام ص 620.

خارطة تبين مسار الجيوش

من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير, ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش كان فيه[1].

فطن المسـلمون منـذ أول معركة لهم مع الـشرك والمشركين لأهمية القائـد في المعركـة, فمنـه تصـدر الأوامـر والتوجيهات, ومنـه يكون التنسـيق بين جماعات الجند، وهو رمز الجماعة التي يقودها, وغيابه عن ميدان المعركة يسـبب ارتباكا للجيش يؤدي إلى أوخم العواقب. وقد فطن المسلمون لهذه الحقيقة حينما جعلوا لرسول الله صلى الله عليه وسـلم مقراً في مكان مرتفع يشرف منه على الميدان واهتموا بحراسته والـذود عنه حتى لا يصل إليه عدو. ومع هذا فقد نزل عليه السـلام إلى الميدان يحرض الجند ويصف الصفوف بل ويطارد العدو.

وقد بني الآن مسـجد في مكان العريش يشرف على أرض المعركة التي تقـع كما ذكرنا بين الطريق التي سـلكها النبي صلى الله عليه وسـلم إلى بـدر من المدينة إلى العقيق مـاراً بنقب المدينة إلى ذي الحليفة إلى ذات الجيش إلى تربان ثم إلى غميس الحمام (من مريين) إلى صخيرات اليمام إلى السيالة إلى فج الروحاء إلى شنوكة إلى عرق الظبية إلى الروحاء, ونزل

(1) سيرة ابن هشام ص 620.

على بئر بها يسمى سجسج (وهي بئر الروحاء).

ثم ترك طريق مكة عن يساره ومر على النازية إلى رُحقان (بين النازية ومضيــق الصفراء) ثم مر على مضيق الصفراء، ثم ترك جبلي الصفراء والصفراء عن يساره فمر على وادي ذفران فلما اجتازه نزل.

وجــاءه الخبر بخروج قريش لقتاله فأخبر الناس وشــاورهم وتكلم المهاجرون ثم انتبه سعد بن معاذ فتكلم وسر بكلامه, وأخبر الناس أن الله قد وعده إحدى الطائفتين.

ومن ذفران سار إلى الدبة فمر على ثنايا الأصافر، ثم نزل الحنّان وهو كثيب عظيم على اليمين ثم نزل قريباً من بدر.

## طريق العودة

رجع المســلمون من بدر فلما نزلوا الصفراء قســمت الغنائم, وفيها ضربــت عنق النضر بــن الحارث، ثم نزلوا عــرق الظبية فضربت عنق عقبة ابن أبي معيط, ثم ساروا حتى وصلوا المدينة المنورة.

## أبو سفيان والقافلة

أفلتت قافلة أبي سفيان وعير قريش، حيث لم يدركها المسلمون عند مخرجها إلى الشــام في غزوة العشيرة, وسار بها أبو سفيان ومن معه حتــى وصلوا غزة ســوقهم الذي يبيعون فيه ويبتاعــون منه، وأقاموا يصرفــون شــؤون تجارتهم ويجهــزون القافلــة العائــدة بالبضائع

والأمتعــة، وبــاع الناس واشــتروا وحملــوا إبلهم بكثير مــن البضائع والتحف والطرف، وكان الذي أعدوه لرحلة العودة شيئاً كثيراً، فقريش لم تكن قد أرســلت قافلة كبيرة منذ أكثــر من عام لخوفهم من ترصد المســلمين لقوافلهم، وفصلت القافلة من غزة تحمل ما يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار ذهبي، وفي الطريق لقيهم رجل من جذام فأخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يريدون اعتراض القافلة عند خروجها إلى الشام ولكنهم لم يدركوها، إذ سبقتهم بأيام وحذرهم أنهــم مقيمون في انتظار عــودة القافلة, وبيّن لأبي ســفيان أنهم الآن أحرص على لقائهم وأقدر عليهم، فقد كان خروجهم خفافاً، وعودتهم بأحمال وأثقال, فخرج أبو سفيان من الشام محاذراً يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان خوفاً من كمين يأخذه على غرة، وحين دنا من الحجاز بلغه من بعض المســافرين أن محمداً قد خرج في أصحابه طلباً لعيرك، فبالغ في حذره وحيطته منذ سمع الخبر.

وكانت القافلة قد استأجرت رجلاً من غفار يقال له ضمضم لقيهم في طريــق خروجهم إلى الشــام اســتأجروه دليلا لهــم بعشرين مثقالا ذهباً، فما أن ســمع أبو ســفيان خبر خروج الرســول صلى الله عليه وسلم للاســتيلاء على القافلة، حتى عاد فاســتأجره لمهمة أخرى أهم وأكثر حساســية من مهمته الأولى، أمــره أن يسرع طائراً إلى مكة، وأن يســتنفر قريشــاً مســتخدماً كل ما عرفته العرب من أساليب الإثارة, يســتنفرهم للدفاع عن أموالهم وتجارتهــم, وأن يخبرهم خبر خروج

محمد للاستيلاء على العير.

أسرع ضمضم إلى مكة، ودخلها وقد جدع بعيره (قطع أنفه وأذنيه)، وحول رحله وشق قميصه من أمام ومن خلف ووقف على ظهر بعيره يـصرخ بأعلى صوته ويقـول: يا معشر قريش اللطيمـة (الإبل تحمل الطيب والمتاع) أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث[1].

ولم تكن قريش في حاجة لمن يستنفرها، فليس ثمة بيت في مكة ليس له فيها مال أو تجارة, وقد كانت القافلة تضم ألف بعير تقريباً محملة بتجارة الشام ويحرسها ثلاثون أو أربعون رجلاً.

وسـار أبو سـفيان بما معه ومن معـه حذراً يتلمـس الأخبار حتى بلغ ماء بدر، وفي الطريق التقى بشـيخ من جهينة يقال له كشـد قرب حوران, فسأله إن كان قد رأى أحداً من عيون محمد, فأخبره أنه لم ير أحداً, وأظهر عجبه لهذا السؤال لبعد المسافة بين المدينة وحوران. (هذا الرجل كان ينزل في ضيافته عينان للرسول), وعند بدر التقى بحليفهم مجدي بن عمرو (كان حليفاً للجانبين) فسـأله: هل أحسسـت أحداً؟ فقـال مجدي بن عمرو: ما رأيت أحداً أنكـره، ولا بينك وبين يثرب من عدو, ولو كان بينك وبينها عدو لم يخفَ علينا، وما كنت أخفيته عنك، غير أني رأيت رجلين راكبين, وقد أناخا وراء هذا الماء, واستقيا في شأن

(1) سيرة ابن هشام ص 609.

لهما ثم انطلقا، وأشار لهم إلى مناخ عدي بن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسلهما يستطلعان له خبر القافلة، فنزلا على بدر، وسمعا حديثاً بين جاريتين تستقيان تطالب إحداهما الأخرى بدين لها عليها والمدينة تعدها بالسداد غدا عند قدوم القافلة فتعمل لهم وتدفع، وانطلقا بالخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أتى أبو سفيان المكان الذي أناخا فيه فأخذ من أبعار بعيريهما ففتته ثم اشتمه فوجد فيه النوى فقال: هذه علائف يثرب، ورجع إلى أصحابه مسرعاً وبادر فتحول عن الطريق نحو ساحل البحر الأحمر، وترك بدراً يساراً، وانطلق نحو مكة لا يلوي على شيء فقد نجا ونجت العير[1].

(1) وعندما زرت بدراً ووقفت عند الحنان وهو مرتفع عظيم من الرمل يعطي صوتاً يشبه الحنين إذا تحرك الرمل = فيه. وقد قام بعض الشباب بالصعود إلى أعلى الحنان وأخذوا يحركون الرمل فسمعنا جميعاً الصوت واضحاً جلياً. وكان معنا مجموعة من أشراف بدر وسكانها، وذكروا لنا أن سماع الصوت أمر مألوف لديهم ومعروف عندهم، وقد لاحظت أن بين الحنان وبين الجبل الأصفر ممراً يتجه نحو الغرب في اتجاه الشاطئ ويسمى «الملص». وقيل إنه ربما يكون الممر الذي هرب منه أبو سفيان وملص في اتجاه الساحل، وقيل إنه الطريق الذي جاءت منه الملائكة وهناك علم أن قريشاً قد خرجت لحمايته وملاقاة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأرسل إليهم قيس بن امرئ القيس، وكان مع أصحاب العير يقول لهم على لسانه: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم. وقد نجاها الله فارجعوا. ولكنهم لأمر أراده الله صموا آذانهم وركبوا رؤوسهم. فلم يستمعوا إلى ناصحهم وساروا إلى حتفهم ليحق الله الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين.

# الفصل الثالث

# والتقى الجمعان

## جحافل الشرك تخرج إلى مصارعها

تركنا ضمضماً الغفاري يستغيث ويصرخ يستنفر قريشاً للخروج لحماية أموالهم, والقرشيون يستعدون ويتأهبون لهذه المهمة الصعبة التي جاءتهم على غير ميعاد، وإن كانوا قد أخبروا بها قبل قدوم ضمضم بأيام في رؤيا رأتها سيدة من بنات عبدالمطلب وأرادت أن تكتم خبرها فلم تستطع وتسرب الخبر إلى قريش.

## رؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب[1]

يروي كتاب السيرة عن عروة بن الزبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عاتكة بنت عبدالمطلب رأت قبل وصول ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها، فأرسلت إلى أخيها العباس وأخبرته أنها رأت في نومها رؤيا أفزعتها وأخافتها، وتوقعت بعدها شراً يصيب القوم، وطلبت منه أن يكتم خبر هذه الرؤيا فلا يطلع عليها أحداً.

قالت رأيت فيما يرى النائم أن رجلاً أقبل على بعير له وقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غُدُر (من الغدر) لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم أرى بعيره دخل المسجد، واجتمع الناس إليه، ثم مثل

(1) سيرة ابن هشام. ص 607 609ـ.

به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة, فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثـلاث، ثم إن بعـيره مثل به عـلى رأس أبي قبيس، فقـال: انفروا يا آل غـدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسـلها من رأس الجبل، فأقبلـت تهوي حتى إذا كانت في أسـفل الجبل ارفضت (تكسرت) فما بقيت من دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها.

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا فاكتميها، قالت: وأنت فاكتمها لئن بلغت هذه قريشاً ليؤذُننا. فخرج العباس ولقي الوليد بن عتبة، وكان صديقـاً له، فأخبره خبر الرؤيا، واسـتكتمه إياها، ولكنه لم يسـتطع كتمانها وأخبر أبا جهل فانتشر الخبر وذاع.

وذهـب العباس ليطوف بالكعبة فإذا القوم يتحدثون فيذكرون خبر رؤيا عاتكـة، ولقيه أبو جهل فقال له: يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هـذه النبية؟ قال العبـاس: وما ذاك؟ قال أبو جهـل: رؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب. أمـا رضيتم يا بني عبدالمطلب أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ فسنتربص بكم هذه الثلاث التي ذكرت عاتكة فإن كان حقاً سيكون، وإلا كتبنا عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان مني كبير إلا أن أنكرت ما قالته عاتكة.

وفي رواية ابن إسحاق لحديث أبي جهل مع العباس زيادة يقول:

أما رضيتم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النسـاء. إنا استبقنا المجد وأنتم، فقلتم فينا السقاية، فقلنا لا نبالي تسقون الحاج، ثم قلتم فينا الحجابة فقلنا لا نبالي تحجبون البيت، ثم قلتم فينا الندوة، فقلنا

لا نبالي تجمعون عندكم ما ترفدون به الضيف، فلما أطعمنا وأطعمتم فكنا وأنتم كفرسي رهان فاستبقنا المجد منذ حين، فلما حاذت الركب, قلتـم منا نبي فما بقي إلا أن تقولوا منا نبية، ولا أعلم أهل بيت أكذب رجـلاً، ولا أكـذب امرأة منكم. قال العبـاس: وغضبت عاتكة وغضبت نسـوة بني عبدالمطلـب لتطاول أبي جهل على عاتكـة، وصبر العباس عليه حتى لقد عزم العباس أن يذهب إليه في مجلس قريش عند البيت فيوجعه، ويوقع به، فما أن ذهب إليه حتى وجده وكل قريش مشغول بخـبر ضمضـم، ورآه العبـاس وغيره وهـو واقف على بعـير بالأبطح قـد حول رحله وشـق قميصه وجـدع بعيره, يقول: يـا معشر قريش اللطيمـة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سـفيان وتجارتكم قد عرض لها محمد وأصحابه فالغوث الغوث. اهـ[1].

فشـغل ذلـك العباس عـن أبي جهل، وشـغل أبا جهل عـن العباس، وشغل الناس بالإعداد للخروج لحماية القافلة التي كانت تحمل أموال قريش وأهل مكة، فلم يكن في مكة بيت ليس له فيها مال أو تجارة عدا بني عدي الذين لم يخرجوا فيها شيئاً.

أخذ الناس يتهيأون للخروج مسرعين وقالوا: يظن محمد وأصحابه أن تكـون كعير ابن الحضرمي؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، فقد تخلف أبو لهب وأرسـل

(1) سيرة ابن هشام ص 609.

مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ونزل له عن دين قديم قدره أربعة آلاف درهم استأجره بها.

وقد أثار ضمضم الغفاري الفزع في نفوس القرشيين مما دفعهم إلى الخروج بكل ما استطاعوا من قوة، وأثار حماستهم وإحساسهم بأن أموالهم التي فيها قوتهم وسطوتهم مهددة من المسلمين. فأخرجوا عدتهم وسلاحهم ودروعهم التي كانت محفوظة في دار الندوة وفرقوها، وخرج الكبراء وحملوا الفقراء فمنهم من تبرع بخمسمائة دينار ومنهم من تبرع بمائتين ومنهم من حمل عشرين مقاتلاً على عشرين جملاً وتكفل بنفقتهم ومنهم من حمل عشرة محاربين وتكفل بنفقتهم وسلاحهم.

ومن أدق ما عبر عن موقف القرشيين في هذه الساعة العصيبة ما قاله زمعة بن الأسود: واللات والعزى ما نزل بكم أمر أعظم من هذا, أن طمع محمد وأهل يثرب أن يعترضوا عيركم فيها حرائبكم (أموالكم) فأوعبوا لا يتخلف منكم أحد, ومن كان لا قوة له فهذه قوة,[1] والله لئن أصابها محمد لا يروعكم بهم إلا وقد دخلوا عليكم. وكان من أشد المتحمسين لخروج قريش بعدتها وكل ما تملك أبو جهل بن هشام, وحثهم في ذلك حثاً شديداً لأنه كان يرغب بشدة في أن توقع قريش بالمسلمين والانتقام من محمد صلى الله عليه وسلم, وقد كان أنشط

(1) فهذه قوة: أي فليأخذ ما يتقوى به.

رجال مكة في مقاومة الإسلام من اللحظة الأولى وحتى آخر دقيقة من عمره.

خـرج أهـل مكـة في ألف مقاتـل أو أقل قليـلاً، وسـاقوا مائة فرس والفرسان كلهم دارع، وكان معهم سبعمائة وخمسون من الإبل.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حدث عن سعد بن معاذ قال: كان صديقاً لأمية بن خلف, وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سـعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية.

فلمـا قدم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم المدينة، انطلق سـعد معتمـراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي سـاعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت.

فخـرج به قريبـاً من نصـف النهار، فلقيهمـا أبو جهـل، فقال: يا أبـا صفوان، من هـذا معك؟ فقال: هذا سـعد. فقال له أبـو جهل: ألا أراك تطـوف بمكة آمنـاً، وقد آويتم الصُبـاة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سـعد، ورفع صوته عالياً: أما والله لئن منعتني هذا, لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك إلى المدينة.

فقـال له أميـة: لا ترفع صوتك يا سـعد على أبي الحكم، سـيد أهل الوادي.

فقال له سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنهم قاتلوك».

قال بمكة؟ قال: لا أدري.

ففـزع لذلك أمية فزعاً شـديداً، فلما رجع أمية عـلى أهله قال: يا أم صفـوان، ألـم تري ما قال لي سـعد؟ قالت: وما قال لـك؟ قال: زعم أن محمـداً أخبرهم أنهم قاتـلي، فقلت بمكة؟ قـال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر، استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أميـة أن يخرج، فأتاه أبو جهـل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت -وأنت سـيد أهل الـوادي- تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً, فلما خـرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقـل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر.

أما عقبة بن أبي معيط فله قصة إذ توعده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاتله إن وجده خارج مكة جزاء وفاقاً لجريمته النكراء التي ارتكبها حـين بصق على وجهه الشريف صلى الله عليه وسـلم، ولذلك قصة نسوقها باختصار فقد أقام عقبة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسـلم مأدبة دعا إليها رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «لا آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقالها. وأجاب الرسـول صلى الله عليه وسلم دعوته وانتهى الأمر، فأخذ أهل

الكفر يلومونه ويوبخونه ويسفهون فعلته هذه حين نطق الشهادتين، فأبدى ندمه وسـأل ماذا يفعل؟ فطلب منه أن يسـب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبصق في وجهه، ويومها توعده عليه الصلاة والسلام فخـاف وأراد القعـود, فأتوه بجمل أحمر يكون وسـيلته إلى النجاة إذا وقعت الواقعة، وشاء الله أن يقع أسيراً فيقتله عليه الصلاة والسلام.

كما روي أيضاً عن عتبة بن ربيعة أنه عزم على القعود، فنهاه أخوه شـيبة عن ذلك وقال: إن فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومـك فمضى معهم إلى نهايته المقدرة، ويقـال إن غلامهما النصراني عداسـاً حـين رآهما خارجـين تعلق بهما وقـال: بأبي وأمـي أنتما ما تسـاقان إلا لمصارعكمـا, فأرادا عدم الخروج فلم يـزل بهما أبو جهل حتى خرجا وفي عزمهما العودة من الطريق.

ولمـا نزلـت قريش الجحفـة رأى جهيم بـن الصلت بـن مخرمة بن عبدالمطلب, رأى فيما يرى النائم وهو بين اليقظة والمنام أن رجلاً أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بـن ربيعة وأبو الحكم بن هشـام، وأمية بن خلف وفـلان وفلان، فعد رجـالاً ممـن قتل يوم بدر مـن المشركين من أشراف قريـش، ثم رأيته ضرب في لبـة بعيره ثم أرسـله في العسـكر، فما بقي خبـاء من أخبية العسـكر إلا أصابه نضح من دمه. أهـ. فلما بلغت أبا جهل قال: وهذا أيضـاً نبي آخـر من بني عبدالمطلب سـيعلم غداً من المقتـول إن نحن

التقينا[1].

وبقدر ما استعدت قريش للخروج وتأهبت، وأنفقت الأموال، وأعدت العـدة, وسـارت في جيش كبـير بالنسـبة لزمانهم تصحبهـم القيان بالدفـوف؛ بقدر ما كانت معنوياتهـم في الحضيض. خرج كثير منهم خائفـين مترددين مرغمين يرائي بعضهم بعضـاً بالخروج، ينقصهم الاقتناع والإيمان بالهدف الذي خرجوا من أجله, خصوصاً بعد أن نجت العير، ولا شك أن إيمانهم ويقينهم بصدق محمد زاد من هذا الإحساس بالتردد والبلبلة في نفوس كثير منهم.

وتناقـل الـرواة لقصة رؤيـا عاتكة بنـت عبدالمطلـب ورؤيا جهيم -صحيحـاً كان الخـبر أم مبالغاً فيـه- له من الدلالة مـا له. فهو يدل في جملتـه أن بني هاشـم لم يكـن خروجهم عن رضـا ورغبة بل كان مسايرة لأشراف قريش, وهواهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما يعطينا التصور لمعنويات قريش السيئة، وعمق إحساسهم بما يسـاقون إليه من الهزيمة والفشل، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسـلم إذ يقول: «نـصرت بالرعب» وفي الآية: (سـألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) - الأنفال: 12.

(1) سيرة ابن هشام ص 618.

## الاستفتاح

(إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين) - الأنفال: 19.

كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لنجدة قافلة أبي سفيان أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله، وقالوا اللهم أنصر أعز الجندين, وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين, فكان هذا هو الاستفتاح, وفي بدر كان الجواب وبعده نزلت الآية.

## ثأر بني كنانة

ولما فرغوا من جهازهم واستعدوا غاية الاستعداد ذكروا ثأراً كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانة, وأعربوا عن خوفهم من أن يغيروا على نسائهم وصغارهم منتهزين فرصة غياب المقاتلة والفرسان, أو أن يفاجئوهم من خلفهم ليثأروا لأنفسهم وينالوا دمهم، قالوا: فجاءهم سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي وكان من أشراف كنانة فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه, فاطمأنوا وخرجوا سراعاً.

يقول ابن سيد الناس في عيون الأثر في المغازي والسير: وذكر ابن عقبة وابن عائذ في هذا الخبر: وأقبل المشركون ومعهم إبليس -لعنه الله- في صورة سراقة بن مالك يحدثهم أن بني كنانة وراءه قد أقبلوا

لنصرهم, وأنه لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم[1].

قالوا: كان الذي رآه حين نكص على عقبيه حين نزول الملائكة، وقال: إني أرى ما لا ترون، فلم يزل حتى أوردهم ثم أسلمهم. وفي ذلك يقول حسان:

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهُمُ بغرورٍ ثم أسلمهمْ
إن الخبيث لمن والاهُ غرَّارُ

## المطعمون من قريش في الطريق إلى بدر

على الرغم من السرعة التي أعدت فيها قريش عدتها للخروج للدفاع عن أموالهم وفيها حياتهم؛ رغم هذا فإنهم لم ينسوا أن يسوقوا معهم مظاهر الترف والبذخ، القيان تعزف وتغني والعبيد وأدوات الشواء والطبخ والخمر والطيب, كأنهم خرجوا لنزهة أو رحلة صيد، وأسرفوا في ذلك إسرافاً شديداً, وقد علمنا أنهم كانوا ينحرون كل يوم عشراً من الإبل أو تسعاً, وتكفل بذلك كبراؤهم وزعماؤهم, فكان ممن نحروا حين خرجوا من مكة:

1 - أبو جهل بن هشام، عند الخروج من مكة، نحر عشراً.

---

(1) سيرة ابن هشام ص 612.

2 – أمية بن خلف، بعسفان، نحر تسعاً.

3 – سهيل بن عمرو، بقديد، نحر عشراً.

4 – شيبة بن ربيعة، بمناة (أقاموا بها يوماً)، نحر تسعاً.

5 – عتبة بن ربيعة، بالجحفة، نحر عشراً

6 – مقيس بن عمر الجمحي، بالأبواء، نحر تسعاً.

7 – نبيه ومنبه ابنا الحجاج، نحرا عشراً.

8 – العباس بن عبدالمطلب, نحر عشراً.

9 – الحارث بن عامر بن نوفل، نحر تسعاً.

10 –أبو البختري، على ماء بدر، نحر عشراً.

وقد استغرقت الرحلة بين مكة وبدر عشر ليال. جاءهم خلالها رسول أبي سفيان يطلب إليهم الرجوع. فقد نجت العير ووصلت إلى مكة سالمة. أتاهم الرسول يبلغهم رسالة أبي سفيان: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله فارجعوا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر فنقيم ثلاثاً، فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، يهابوننا أبداً بعدها. أهـ.

والمتأمل في كلام أبي جهل هذا يدرك أنه لم يكن يتوقع حرباً، ولا قتالاً لما يظنه بالمسلمين من الوهن والضعف وقلة العدد والعتاد, ويغلب على الظن أنه كان يتصور أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعود وأصحابه إلى المدينة فور علمهم بنجاة العير وإفلاتها من أيديهم، فقد كانت العير

هــي الهدف الذي خرجوا من أجله, وبخاصة حين يعلم بخروج قريش في هذا الجمع الكبير, رجال وخيل وإبل وسلاح وطعام وفير. فإذا أصر المســلمون على لقاء المشركين رغم كل هذا التفاوت, فما هي إلا جولة ينتهــي فيها أمر محمد ومن معه ويعود أبــو جهل وقريش لطعامهم وشرابهم وقيانهم فتتســامع بهم العرب. هذا كان ظنه وتفكيره الذي تشي به كلماته, ويعلق بعض المحللين على موقف أبي جهل هذا, فيرى أنــه لم يكن له بد من أن يقف هذا الموقف لتدعيم هيبة قريش وتثبيت مكانتهــا عنــد قبائل العــرب تلك القبائــل المقيمة بالقــرب من طريق القوافل بين مكة وبلاد الشام.

وقد كانت تلك القبائل تتطلع بشوق إلى معرفة نتائج تلك التحركات, وهــل ســتقع المعركة؟ فــإذا وقعت من الذي ســينتصر ويفــوز؟ هل ســتنتصر قريش بخيلها وخيلائها ورجالها وسلاحها؟ فتظل صاحبة السيادة والنفوذ في مكة وما حولها. أم سينتصر المسلمون على ما هم عليــه من القلة والضعف, فيتغير موقف القبائل منهم، والقبائل دائماً مع القوي.

أما أمر المســلمين مع رســول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان من المســتحيل أن يعودوا إلى المدينة ويتركوا الميدان لقريش تعربد فيه دون أن يتم اللقاء وذلك لعدة أسباب.

أولهــا: أن الله تعالى وعد نبيه إحدى الطائفتين العير أو المعركة, فإذا كانت العير قد اســتطاعت الهرب والنجــاة فما زال جيش قريش باقياً

والنصر من عند الله وإن كثر عدد المشركين وقل عدد المؤمنين.

ثانيهـا: المدينة مع ما وضعه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم لها من ترتيبات الأمن والسـلام والعهود ليعيش جميع مواطنيها في سلام وهـدوء ما زالت تضم اليهود وأهل الـشرك والمنافقين, وهم يتربصون بالإسـلام والمسـلمين الدوائر، فلو أنهم رجعـوا دون أن يحققوا نصراً لعاشـوا مع هؤلاء يكابـدون المهانة والمذلة, وربما حـاول بعضهم أن يخرج على سـلطان محمد صلى الله عليه وسـلم بعد أن اسـتقر الأمر له فيها.

ثالثها: سيكون ذلك سـبباً في ضعف هيبتهم ومكانتهم عند القبائل المحيطة بالمدينة, الأمر الذي سيدفع العرب لفرض الإتاوات على المدينة وعلى المسـلمين نظير حماية زراعاتهم ومسـارح مواشـيهم وطريق تجارتهـم, كمـا كانوا يفعلون قبل هجرة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم إليها.

رابعاً: بقاء قريش على إحساسـها بضعف المسـلمين وقلة حيلتهم, فهم يـكادون ولا يكيدون ويُضربون ولا يَضربـون، فلا مفر والحالة هذه من وقوع المعركة.

ولما عاد قيس بن امرئ القيس إلى أبي سـفيان وأخبره بمضي قريش غـير عابئة بنصيحتـه, قال: واقوماه هذا عمل عمرو بن هشـام (أبي جهل), كره أن يرجع لأنه ترأس الناس, وبغى والبغي منقصة وشؤم. إن أصاب محمد النفير ذللنا إلى أن يدخل مكة. هذا أبو سـفيان في مكة

وهـذا تصوره لموقف أبي جهل. فما تصور من كانوا مع أبي جهل بعد أن خلصت القافلة إلى مكة ولم يعد ثمة خوف على المال والمتاع, ورفض أبي جهل العودة قبل أن يرد ماء بدر ويقيم عليها ثلاثاً يطعم ويشرب ويلهو لتسـمع العرب بـه وبقومه وتعرف عـدم مبالاته بمحمد ومن معه, فهو لا يحسب لهم حساباً ثم يعود سالماً (في ظنه) فتهابه العرب وتعود القبائل إلى حظيرة قريش.

حرص كتّاب السيرة أن يسوقوا لنا العديد من الروايات التي تدل على أن قريشـاً حين دخلت المعركة لم تكن على قلـب رجل واحد, ولم تكن نظرتها إلى محمد صلى الله عليه وسـلم متفقة متطابقة. فهذا موقف أبي سـفيان وهذا موقـف أبي جهل وهذا الأخنس بـن شريق (أبي بن شريـق) وكان حليفاً لبني زهرة جاءهم فقـال: يا بني زهرة قد نجى اللـه أموالكم وخلص لكم صاحبكـم مخرمة بن نوفـل, وإنما نفرتم لتمنعـوه وماله, فاجعلوا بي جبنها, وارجعـوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجـوا في غير ضيعة فأطاعوه, ورجع بنـو زهرة من الجحفة, كما رجع قبل ذلك بنو عدي من مر الظهران.

وفي السيرة الحلبية الجزء الثاني ص 391 قال الأخنس بن شريق لأبي جهل -وقد خلا به- أترى محمداً يكذب؟ قال: ما كذب قط، كنا نسميه الأمين، لكن إذا كان في بني عبدالمطلب السـقاية الرفادة والمشـورة، ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يكون لنا؟.

فانخنس ورجع بنو زهرة، ولقب بالأخنس منذ يومها. ورجع أيضاً

طالب بن أبي طالب.

وحين مرت قريش بمنازل إيماء بن رحضة, بعث إليها بعشر جزائر مع ابن له أهداها لهم, وقال لهم: إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال -فإنا مُعدون لذلك مؤدون- فعلنا، فأرسلوا إليه: أن قد وصلتك رحم، قد قضيت الذي عليك، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل محمداً وأصحابه ما بنا ضعف عنهم ولئن كنا نقاتل الله -كما يزعم محمد- فما لأحد بالله طاقة. اهـ

ويروي الواقدي في كتابه المغازي عن خفاف بن إيماء بن رخصة، قال: كان أبي ليس شيء أحب إليه من إصلاح بين الناس، موكل بذلك، فلما مرت قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لهم, فأقبلت أسوقها وتبعني أبي, فدفعتها على قريش فقبلوها، ووزعوها في القبائل, فمر أبي على عتبة بن ربيعة -وهو سيد الناس يومئذ- فقال: يا أبا الوليد ما هذا المسير؟ قال: لا أدري والله غُلبت. فقال أبي فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس وتحمل دم حليفك، وتحمل العير التي أصابوا بنخلة فتوزعها على قومك؟ , والله ما تطلبون قبل محمد إلا هذا, والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلا أنفسكم. والخبران فيهما بعض الاختلاف والجمع بينهما ممكن؛ ففي الأول قدم تحية الصديق, ثم جاء يقدم نصيحة الصديق. والحادثة واحدة نستطيع أن نستنتج منها أن قريشاً لم تكن على قلب رجل واحد حين وصلت إلى بدر، وأن الوهن قد بدأ يتسلل إلى نفوسهم وصفوفهم، وربما كان أكثرهم

يتمنى الرجوع دون قتال لأكثر من سبب؛ العير نجت، والقتال سيوغر الصدور أكثر، وقتلاهم سيقتلون لغير هدف تقريباً.

وتقدمت قريش في عددها الوافر وعُددها الكثيرة وطعامها الذي يفيض عن حاجتها, وقد انتفخت صدورهم كبراً وخيلاء, جاؤوا يتنفسون غروراً, وحليفهم اللعين يزيدهم بطراً (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم). نزلوا بالعدوة القصوى من سهل بدر خلف العقنقل (الكثيب المتدرج من الرمل), وهذا الكثيب أمام العدوة القصوى التي ذكرت في القرآن الكريم وهي شمال شرقي مدينة بدر.

واطمأنت قريش إلى مكانها وبعثوا عمير بن وهب ليستطلع ويأتيهم بخبر المسلمين وعددهم ومدى استعدادهم للمعركة, فدار دورة حول معسكر المسلمين وجاء فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً، أو ينقصون قليلاً. ثم قال: أمهلوني حتى أنظر ألهم مدد أو كمين؟ وانطلق يجوب الوادي إلى مسافة بعيدة، فأخبرهم أنه لم يجد شيئاً. وقال: ولكني رأيت البلايا[1] تحمل المنايا، نواضح[2] يثرب تحمل الموت الناقع, قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم, والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإن قتل منا عددهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم[3]. واضح أنه متشائم متخاذل لا يرى بأساً من الرجوع وترك القتال.

---

(1) البلايا جمع بلية، وهى الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.
(2) نواضح: جمع ناضح وهو البعير يستقى عليه.
(3) سيرة ابن هشام ص 622

ثم جاء بعد ذلك حكيم بن حزام فمشى في الناس وأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها، هل لك إلى مشورة ورأي لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال عتبة: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي. قال قد فعلت، إنما هو حليفي فعلي عقله (ديته) وما أصيب من ماله، فعليك بعمرو بن هشام (أبي جهل), ثم قام في الناس خطيباً فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً, والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه يكره النظر إليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلاً من عشيرته, فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك فعزه لقريش وملكه لها، يا معشر قريش أنشدكم الله في هذه الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح (يعني قريشاً) أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات (يعني الأنصار).

وذهب حكيم إلى أبي جهل يقول: يقول لك عتبة بن أبي ربيعة: هل لك أن ترجع عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قال حكيم: لا ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. فثار أبو جهل، وقال: انتفخ سَحْره[1] (يتهمه بالجبن) لقد رأى أصحاب محمد أكلة جزور (عددهم قليل يكفيهم جزور), وفيهم ابنه (أبو حذيفة) خاف أن تقتلوه. ثم

(1) السحْر: الرئة، وانتفخ سحره جاوز قدره.

يقسم: كلا والله لن نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد.

ثم أرسل أبو جهل فاستدعى عامر بن الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس وقد رأيت ثأرك بعينيك فقم فأنشد خفرتك[1] ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فكشف عن عجيزته وصرخ واعمراه فأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه حكيم بن حزام[2].

وساءت حال المشركين حين علموا باستيلاء المسلمين على الماء, فقد روي عن بعضهم أنهم كانوا في خباء لهم على جزور يشوون ويأكلون حينما جاءهم من يخبرهم الخبر, فساءهم ذلك وزهدت نفوسهم الطعام. ويضيف ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق أن القرشيين لم يناموا ليلتهم هذه. وهذا كله يدل على الحالة النفسية السيئة التي أمسى فيها القرشيون بعد أن استولى المسلمون على الماء.

وحميت الحرب وفسد أمر الناس وتمسكوا بما هم عليه من الشر. ولما بلغ عتبة بن ربيعة ما قاله فيه أبو جهل قال: سيعلم مصفر أسته من انتفخ سحره أنا أم هو، وبدأ يستعد للمعركة كغيره، ولم يجد عتبة بن ربيعة بيضة تدخل فيها رأسه لعظم هامته، فعصب رأسه ببرد له[3].

ذكر في السيرة الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر

---

(1) خفرتك: ذمتك.
(2) سيرة ابن هشام ص 623ـ622.
(3) سيرة ابن هشام ص 624.

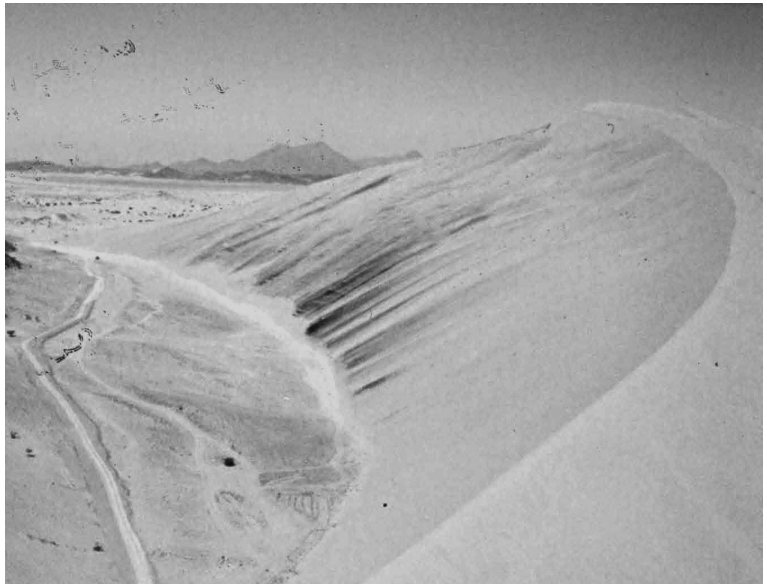

الملص وهو الطريق الذي سلكه أبوسفيان مع القافلة

**بـن الخطاب رضي الله عنـه إلى قريش يقول: «ارجعوا فإنه إن يلي هذا الأمـر مني غيركم أحب إلي من أن تلوه منـي»[1], قال حكيم بن حزام: قـد عرض نصفـاً فاقبلوه, فوالله لا تنصرون عليـه بعد ما عرض من النصف. فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم.**

**مـن السـهل أن نتصور واقـع جيش مكـة في بدر ليلـة المعركة من الروايات السـابقة, فهـم كثير عددهم عظيم عتادهـم وافر طعامهم تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، أبو جهل يتولى زعامة العناد والمكابرة**

(1) يقصد أمر الحرب.

والإصرار عـلى الحـرب, ولم يكن هو الزعيم الأوحـد فقد كان كثيرون يعارضون رأيه ويرونه شـؤماً عليهم, فهذا حكيم بن حزام يحاول ما وسـعته المحاولة ويجاهد ما وسـعته المجاهدة أن يثنيهم عن الحرب ويطالبهـم بالعودة، ولم يعد وحده لأنه حتما يخاف أن يوصم بالجبن والتخـلي عن قومه وقـت الحرب. وهذا عتبة بن ربيعـة يميل إلى إنهاء حالة الحرب, ولكنه لم يسـتطع لوجود أبي جهل بينهم كلما بدأ عتبة خطوة وضع أبو جهل في طريقه العراقيل. وهؤلاء بنو هاشـم خرجوا مكرهـين لا رغبة لهـم في القتال، وإذا دب الخلاف بـين قوم دب فيهم الوهـن والضعف وحل الفشـل محل الفوز والنجاح. إن أي سـلاح مع اختلاف القلوب وتشتت العزائم لا يأتي بالنصر؛ لأن السلاح لا يحارب وحده، وإنما يحارب به الرجال والرجال بقلوبهم وعزائمهم وإيمانهم بالقضية التي يبذلون دماءهم وأرواحهم وأموالهم من أجلها.

لقد بانت نذر هزيمة المشركين منذ الليلة السابقة على المعركة, فهم قـد جمعوا وأوعبوا مـن عدة الحرب المادية, لكنهـم بفضل الله فقدوا أهم أسلحة المعركة: الإيمان ووحدة الصف ووحدة الهدف. ولقد كانوا يعرفون ذلك ويعرفون أنهم ليسـوا على قلب رجل واحد، بل ربما كانوا يعلمون ويشـكون على الأقل في أن النصر سـيكون لهـم. بالرغم مما يقولـه بعض المحللين من أنهم لا مناص لهم من المواجهة حفاظاً على مكانتهـم وهيبتهـم, وأن رجوعهم دون قتال بعـد أن واجههم محمد بهذا العدد القليل؛ سيهدم كل ما أقامه القرشيون على مر الأجيال من

هيبة واحترام في قلوب العرب جميعاً.

هـذا بالإضافـة إلى الأهميـة البالغة لتأمين طريـق القوافل بين مكة والشـام, وقد تعرضت قوافلهم لاعتراض المسلمين أكثر من مرة فلا بد لهم من أن يهزموا المسـلمين حتى لا يعـودوا إلى الاجتراء على قوافلهم الغادية والرائحة. ولكنها في الوقت نفسه الكبرياء والغطرسة والتعالي والاستبداد بالرأي واستشعار القوة والمنعة واحتقار معسكر المسلمين والاسـتخفاف بهم وازدراؤهم، فكان أن أوردهم كل ذلك موارد الهلاك والهزيمة، وقد كان الشيطان جاراً لهم وكان الله مع المسلمين يؤيدهم بنـصره ويعزهم ويثبتهم واللـه غالب على أمره ولكـن أكثر الناس لا يعلمون.

## والتقى الجمعان

اطمأن رسـول الله صلى الله عليه وسلم, واستراحت نفسه إلى منزل المسـلمين على ماء بدر بعد أن اسـتوثق من موقف أصحابه المهاجرين منهم والأنصار، وتأكد عنده تقبلهم لقرار الحرب واسـتعدادهم للبذل والعطاء، بذل المهج والأرواح، كما تأكد له أنهم قد لبسـوا ثوب الطاعة لله ولرسوله، ولم ولن يخلعوه أبداً.

ونزلت قريش بالعدوة القصوى خلف الكثيب في وادي بدر أو في سهل بدر، وهم على ما هم عليه من اختلاف في الرأي بين من يرى أن أسباب الخروج من مكة إلى بدر قد انتهت بنجاة القافلة وأن العودة قد وجبت

دون قتـال؛ لأن القتال سـيوغر الصدور، ويزيد العـداوات أكثر من ذي قبل، وعلى رأس هؤلاء عتبة بن ربيعة صاحب الجمل الأحمر الذي قال عنه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: «إن يـك في أحد من القوم خير ففـي صاحب الجمل الأحمـر إن يطيعوه يرشـدوا». وحكيم بن حزام الذي كان يمشي بينهم ليدعوهم إلى الرجوع دون قتال[1].

وفي الطرف الآخر أبو جهل فرعون هذه الأمة كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف بالمرصاد وبكل عناد الكفر وحقد الجهل لكل بادرة من بوادر السلام, فقد كان مسخراً لغاية أرادها الله في هذا اليوم الأغر، وقد أصابهم المطر فصعبت عليهم الحركة، واسـتولى المسلمون على الماء فباتوا يتهددهم العطش.

ونزل المسـلمون بالعدوة الدنيا على آخر مـاء من بدر، وغورت الآبار الأخـرى، وبنى المسـلمون الحوض, وشـغلوا به طـول ليلهم يملؤونه ليشربـوا منه خلال المعركة، وتقدم سـعد بن معـاذ رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلسـت على ركائبك فلحقت بمن وراءنا. فقد تخلف عنك أقوام -يا نبي الله- ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم

(1) انظر سيرة ابن هشام ص 622.

يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، ودعا له بالخير، ثم بني العريش من الجريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكان مرتفع ليشرف على الناس ويرى ميدان المعركة كله.

وقام سعد بن معاذ رضي الله عنه متوشحاً سيفه على باب العريش، ودخل صلى الله عليه وسلم العريش ومعه أبو بكر رضي الله عنه[1].

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وابن مسعود فطافا بقريش ومن معها، ثم عادا يقولان: يا رسول الله، القوم مذعورون، فزعون، إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه, في الصباح قال نبيه بن الحجاج -وكان رجلاً يبصر الأثر- هذا أثر ابن سمية وابن أم عبد أعرفه، قد جاء محمد بسفهائنا، وسفهاء أهل يثرب، ثم قال:

لم يترك الخوف لنا مبيتاً

لا بد أن نموت أو نميتا

وفي رواية لمسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة بدر: «هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان هاهنا، وهذا مصرع فلان هاهنا»، قال

(1) سيرة ابن هشام ص620.

مسجد العريش وبجواره الساحة التي استخدمت كمهبط للطائرة التي استعملت للبحث في المرحلة الأخيرة

**أنس: ما ماط أحدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم.**

**وعــن علي رضي الله عنه قــال: لقد رأيتنا يوم بدر ومــا منا إلا نائم، إلا رســول الله صلى الله عليه وســلم فإنه كان يصــلي، ويدعو، ثم إنه أصابنا من الليل طشٌّ (المطر الضعيف القليل) من مطر فانطلقنا تحت الشــجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد», فلما طلع الفجر نادى: «الصلاة يا عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رســول الله صلى الله عليه وســلم وحرضهم على القتال.**

## خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المعركة

جاء في مغازي الواقدي: حدثني محمد بن قدامة عن عمر بن حسين قال: كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ -الأعظم- لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ. قالوا: وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال وهو يأمرهم ويحثهم ويرغبهم في الأجر: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق, ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه. وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم، وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم, فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه فإن الله يقول: (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم), انظروا إلى الذي أمركم به في كتابه وأراكم من آياته، وأعزكم بعد ذلة, فاستمسكوا برضا ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر

المكان الذي اتكأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم

**الله لي وللمسلمين»[1].**

**وصفّ رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أصحابه صفوفاً مستوية حـرص أن تكـون كصفـوف الصلاة لا يشـذ أحـد عن مـكان. وروى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صف أصحابه في صفوف يتلاحـم كل صـف ويتلاصق الواقفون فيه ليس بينهـم فرج كل واحد منهم درع لصاحبه يحميه ويدفع عنه، وكان يسـوي الصفوف بقدح في يده، فرأى سـواد بن غزية خارجاً عن الصـف متقدماً عن أصحابه فطعنه في بطنه بالقدح الذي في يده وقال: «استو يا سواد» فقال سواد: يا رسـول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني[2]. قالوا**

(1) المغازي للواقدي، الجزء الأول ص 59ـ58.

(2) أقدني: أمكني من القصاص.

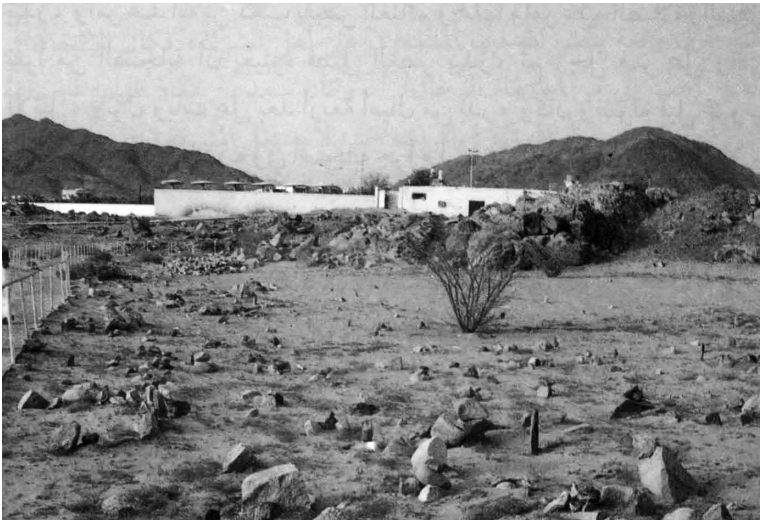

جزء من أرض المعركة

**فكشــف رســول الله صلى الله عليه وســلم عن بطنــه الشريف وقال: «استقد يا سواد» (أي اقتص لنفسك) فاعتنقه سواد وقبل بطنه، ولما سأله صلى الله عليه وسلم: «ما حملك على ذلك يا سواد» قال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا له رسول الله بخير[1].**

**وقــد روى أبو داود أن رجلاً من الأنصــار كان فيه مزاح, فبينما هو يحدث القوم يضحكهم، إذ طعنه رســول الله صلى الله عليه وســلم في خاصرتــه بعود كان في يده فقال: أصبرني يا رســول الله (أي: أقدني)**

(1) سيرة ابن هشام ص 626.

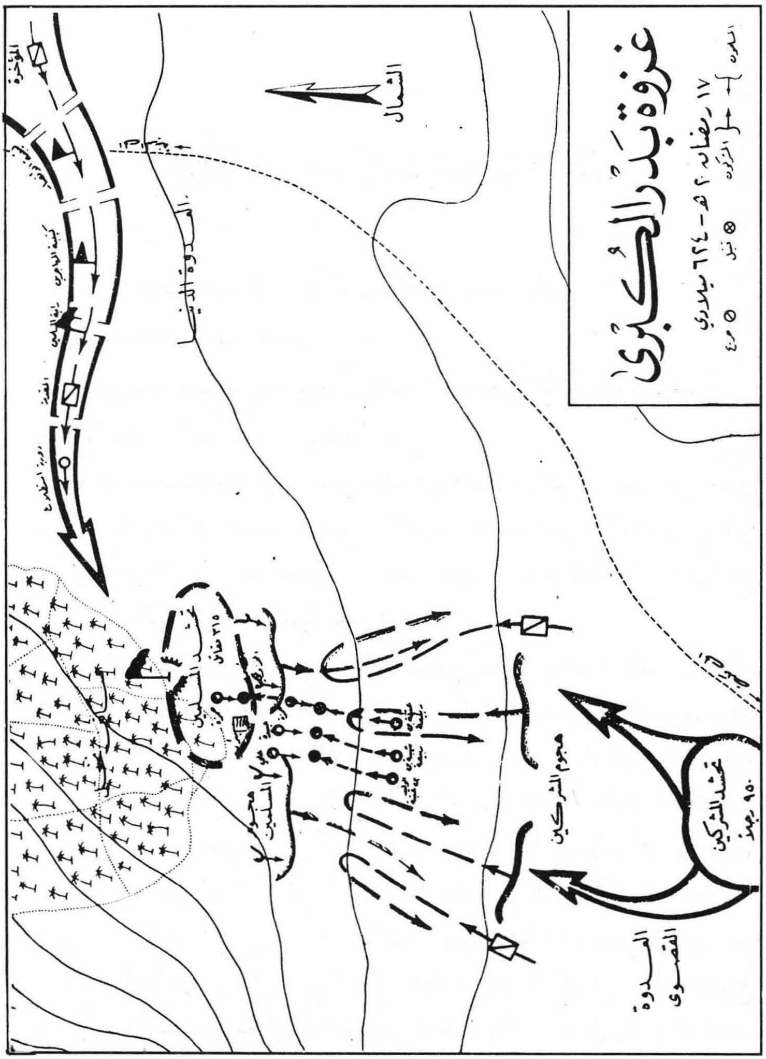


غزوة بدر، عن كتاب د. حسين مؤنس «يوم التقى الجمعان»

ومكني من نفسك لاقتص منك. فقال عليه الصلاة والسلام: «اصبر» (أي اقتص لنفسك) قال: إن عليك قميصاً وليس علي قميص، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فجعل يقبل كشحه (بطنه).

وفي الروايتين نرى حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يرسي مبدأ القصاص وحرصه على أن يعمق في نفوس أصحابه أن لا أحد يعلو فوق الحق وأن من جنى جناية يجب أن يسلم نفسه للقصاص مهما علا مركزه ومكانه, فليس هناك من هو أعز وأكبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه. كما نرى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على المساواة بين الناس وعلى أن يكون كواحد منهم لا يتميز على أحد منهم بشيء مع أنه نبي الله وأفضلهم وقائدهم، ونرى أيضاً حرص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يلتمسوا أدنى صلة تصلهم به فتصيبهم بذلك بركته برحمة الله. وقد روي أن النار لا تمس شيئاً مس جسده الشريف.

## خطة الحرب وإستراتيجية القتال

وحين استوت الصفوف وتلاحمت، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ- أن يرموا خصومهم بالنبال.

ب- أن يدخروا سهامهم فلا يرمون إلا من قريب حتى تتأكد إصابة الهدف.

جـ- ألا يخرجوا سيوفهم حتى يغشوهم.

وقد تعجب الغفاريون الذين جاؤوا ينظرون وينتظرون على من تدور الدائرة ليشاركوا في السلب والنهب والغنيمة. تعجبوا من هذا الأسلوب غـير المألوف في القتال، فقد تعودوا كمـا تعود العرب جميعاً قتال الكر والفر, ولم يألفوا قتال الصفوف المجتمعة المتراصة.

ودفـع صلى الله عليه وسـلم الراية على مصعب بن عمير فتقدم بها عـلى موضعها الذي يريد أن يضعها فيه عليه الصلاة والسـلام, ووقف النبي الكريم ينظر إلى الصفوف وقد استقبل بها المغرب وجعل الشمس خلفهم، وجاء المشركون فاستقبلوا الشمس، وجاء رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن كان هذا منك عن وحي نزل إليك فامض به، وإلا فإنـي أرى أن تعلـو الوادي فإني أرى ريحاً قـد هاجت من أعلى الوادي وإنـي أراها بعثت بنـصرك. فقال صلى الله عليه وسـلم: «قد صففت صفوفي ووضعت رايتي فلا أغير ذلك». ونرى هنا كيف سمع الرأي ولم يأخـذ به وإنمـا عزم وتوكل على الله في وقت قبل فيه الرأي في مسـألة الموقـع من الآبار وأخذ به. ودخل صلى الله عليه وسـلم العريش ومعه أبو بكـر الصديـق رضي الله عنه، وأخـذ يدعو ربه ويناشـده المؤازرة والنصر ويسـتنجزه ما وعده ويقـول: «اللهم إن تهلـك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض», والصديق يشفق عليه لما يرى من شدة إقباله عـلى الدعاء والابتهـال، وكثرة إلحاحه في طلب النـصر من الله فيأخذ بمنكبيه ويقول: يا رسول الله بعض مناشدتك لربك فإن الله منجز لك

ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) -الأنفال: 9, قالوا وغفا رسول الله صلى الله عليه وسلم غفوة أو كاد ثم انتبه وهو يقول: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع»[1].

وفي باب الدعاء والابتهال على الله بالنصر روايات متعددة يقوي بعضها بعضاً, وتؤكد لنا أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن أعد عدته ووضع خطته ونظم صفوفه وأصدر أوامره ووصاياه، وأمد جيشه بالشحنة الإيمانية والروح المعنوية العالية اتجه إلى الله يسأله النصر والتوفيق ويبتهل إليه أن ينجزه وعده.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة». فقال عمير بن الحُمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل[2].

أما ما كان من شأن قريش ومن معها فقد أقبلت عند الصباح من وراء العقنقل (جبل في بدر) إلى الوادي، بعد ليلة ما أطولها من ليلة

---

(1) النقع: الغبار.
(2) سيرة ابن هشام ص 627.

قضوهـا في نـزاع وخلاف وفشـل يتنازعهم الرعب من لقاء المسـلمين والكبرياء والغرور.

وكان أول من طلع زمعة بن الأسـود ومعه ابنه، فاسـتجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً، فلما رآهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم قـال: «اللهم هذه قريـش قد أقبلت بخيلائها وفخرهـا تحادك وتكذب رسـولك، اللهم فنـصرك الذي وعدتنـي اللهم فاحنهم الغـداة»[1]، وفي روايـة: «اللهم إنك أنزلت علي الكتـاب وأمرتني الثبات ووعدتني إحدى الطائفتين وإنك لا تخلف الميعـاد اللهم احنهم (أهلكهم) الغداة. اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسـود, اللهم اسحق عين أبي زمعة واعم بصر أبي زمعة. اللهم لا تفلتن سهيلاً»[2].

## استفتاح أبي جهل

يروي بعض المحدثين أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة فكان المستفتح[3] وفيه نزلت: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعـد ولن تغنـي عنكم فئتكم شـيئاً ولو كثرت وأن اللـه مع المؤمنين) -الأنفال: 19.

(1) سيرة ابن هشام ص 135.
(2) سيرة ابن هشام ص 628.
(3) سيرة ابن هشام ص 622.

## المشركون يردون الحوض

ولما نزلت قريش بعد ليلتها تلك، جاء جماعة من قريش ليردوا الحوض فأراد بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهم فقال عليه الصلاة والسلام: «دعوهم» فشربوا واستقوا. ويقول الرواة: ما شرب أحد منهم في هذا اليوم من حوض المسلمين إلا قتل في المعركة بعد ذلك إلا حكيم ين حزام فقد نجا وأسلم وحسن إسلامه، وكان إذا اجتهد في يمينه -كما يقولون- يقول: والذي نجاني يوم بدر[1].

بأمر الله يرى كل فريق الفريق الآخر قليل العدد والعدة: (إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلّم إنه عليم بذات الصدور ، وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله تُرجع الأمور) -الأنفال: 44-43.

قال عبد الله بن مسعود: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة.

(غرّ هؤلاء دينهم) -الأنفال: 49، (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار) -آل عمران: 13.

---

(1) سيرة ابن هشام ص 622.

رأى المسلمون أعداءهم قليلي العدد قبل المعركة، وكذلك المشركون رأوا عدد المسلمين قليلاً قبل المعركة، وحين التحم الجمعان وبدأ القتال تبدل الحال فرأوهم مثليهم رأي العين؛ وذلك لأن الله أرسل الملائكة مدداً للمسلمين وبهم كثر العدد.

## مخاطرة المخزومي

يروي ابن إسحاق: أن الأسود المخزومي -وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق والطبع- أقسم ليشربنّ من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليهدمنّه، أو ليموتنّ دونه، فخرج له حمزة فضربه بسيفه ضربة أطن (بتر) ساقه فيها فوقع على ظهره، وحبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه، وهدم جانباً بساقه الصحيحة، فتابعه حمزة فضربه فقتله في الحوض[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بترك الأولين يشربون عندما جاؤوا ليروا ظمأهم بدافع من الرحمة والإنسانية ولو كانوا أعداء، أما هذا الأسود المخزومي فقد جاء تحدياً وبغياً وعدواناً وشراسة وسوء أدب، فاختلف الأمر وكان لابد من تأديبه ووقفه عند حده وردع الآخرين بقتله. وهذه دروس استفدنا منها من ممارسة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب وشريعته في ميدان القتال.

---

(1) سيرة ابن هشام ص 625ـ624.

## المبـــــــــارزة

وكانت عادة العرب في الجاهلية أن يبدؤوا معاركهم بلقاء الفرسـان والأبطال في المبارزة رجل لرجل، فخرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، فدعا إلى المبارزة، ولم يلتفت إلى قول من قال له: لا تنه عن شيء وتكون أول من يأتيه، فكان قد قال ذلك ليدعو النـاس إلى الرجوع ونبذ القتال، ويتعهد ويتكفل بدية حليفه عمرو بن الحضرمي وماله، فسـخر منه أبو جهل وسـخر منه سفهاء قريش، فكأنـه أراد أن يثبـت للقوم أنه أكثرهم شـجاعة وإقداماً وأن دعوته للمسـالمة لم تكن عن خـوف أو جبن، فخرج لهم شـباب من الأنصار -قيـل إنهم عـوف ومعوذ ابنا الحـارث وعبدالله بن رواحة- فسـألهم عتبة من أنتـم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا ما لنا بكم حاجة، ثم نادى مناد: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال عليه الصلاة والسـلام: قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي، فلما قاموا ودنـوا منهم قالوا من أنتـم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقـال حمزة: حمزة. وقال علي: علي.. قالوا: نعم أكفاء كرام.

فبارز حمزة شـيبه، ولم يمهله أن قتله. وبارز علي الوليد فقتله علي وبـارز عبيدة -وكان أسـن القوم- عتبة بن ربيعـة فاختلفا ضربتين، أثبت كل منهما صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه، وحملا على صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

وبعـد أن حمل عـلي وحمزة عبيدة بـن الحـارث -رضي الله عنهم- جريحـاً إلى جـوار رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم، وسّـده قدمه الشريفة، فسأل عبيدة النبي صلى الله عليه وسلم: ألست شهيداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أنك شهيد» وتوفي رضي الله عنه بالصفراء في رحلة العودة، ودفن بها.

وقد قالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب شعراً ترثيه:

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤددا
وحلماً أصيلاً وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة
وأرملة تهوي لأشعث كالجدل
وبكيه لـلأقـوام في كل شتوة
إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفزف
وتشتيت قدر طالما أزبدت تغلي
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها
فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى
ومستمنح أضحى لديه على رسل

روى البخـاري بسـنده عن علي رضي الله عنه أنه قـال: «أنا أول من يجثو بين يـدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وفينا نزلت هذه الآية:

(هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم) - الحج: 19. يعني علياً وحمزة وعبيدة مع عتبة وشيبة والوليد[1].

عدّل الرسول عليه الصلاة والسلام الصفوف وقال لهم: «إن دنا منكم القوم فانضحوهم (أرشقوهم) عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم (لا ترموهم عن بعد) ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم». عن أبي أسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش: «إذا أكثبوكم -يعني غشوكم- فارموهم» ثم خطبهم وحثهم على الجهاد ورجع إلى العريش. قال خفاف بن إيماء: فرأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد تصاف الناس وتزاحفوا، لا يسلون السيوف، وقد انبضوا القسي (حركوا الأوتار) وقد ترس بعضهم على بعض بصفوف متقاربة لا فرج بينها، والآخرون قد سلوا السيوف حين طلعوا، فعجبت من ذلك، فسألت بعد ذلك رجلاً من المهاجرين، فقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نسل السيوف حتى يغشونا.

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العريش ومعه أبو بكر يدعو ربه ويناشده أن ينجز للمؤمنين وعده، فجاءته البشرى بنزول الملائكة مدداً للمسلمين: (إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي

(1) سيرة ابن هشام ص 625.

ممدّكـم بألف من الملائكة مردفـين، وما جعله اللّه إلا بشرى ولتطمئنّ بـه قلوبكم وما النّصر إلا من عند اللّـه إنّ اللّه عزيز حكيم)- الأنفال: 9-10.

وخرج الرسـول الكريم صلى الله عليه وسـلم يتلو: (سيهزم الجمع ويولّون الدّبر) - القمر: 45.

الرسـول القائـد صلى الله عليه وسـلم يقدم القدوة والأسـوة لقادة المسلمين ورؤسائهم في كل زمان ومكان فقد أعد لكل شيء عدته بقدر طاقته ولم يدخر وسـعاً ولا جهداً، فقد أعد جنده قبل المعركة معنوياً ونفسياً وجسدياً ثم أرسل الطلائع يتحسسون له أخبار عدوه وأحوال القبائل من حول المدينة، بل وخرج بنفسـه ليقوم مع الصديق بمهمة استطلاعية، واستطاع بمهارة وذكاء أن يستنبط من كلام السقاة عدد جيـش المشركين, ومَن في هذا الجيش مِن عتاة الشرك وزعماء قريش، وباختصـار ألمَّ صلى الله عليه وسـلم بكل ما يهمـه من أخبار جيش الأعـداء ثم حرص على أن يدخـل المعركة بجنود كلهـم يعرفون عظم المهمـة الملقـاة عليهم ويقدرون ما سـيترتب عليها من آثـار، قلوبهم تتمنـى الشـهادة لعلمهم بمـا أعد لشـهيدهم من الكرامـة عند ربه، مؤمنون بعدالة القضية التي يحاربون من أجلها.

ثم اتخذ عدة خطوات عسكرية عبقرية: الاستيلاء على الماء، وحرمان الأعـداء منه للتأثير عـلى قواهم الماديـة وروحهم المعنوية، الأسـلوب الجديد في الحرب الذي لم تألفه العرب، وهو الحرب بالصفوف المتراصة

المتلاحمة التي يترس فيهـا الجند بعضهم عن بعض ويحمي بعضهم بعضـاً، ثم يأمرهـم بالبقاء في أماكنهم حتـى يهاجمهم عدوهم وذلك ليحتفظوا بقوتهم الصغيرة متماسـكة وحتـى لا تتبدد. ثم أمرهم أن يرمـوا عدوهم بالنبـال إذا اقترب منهـم ولا يرمونه مـن بعيد لكي لا تطيـش سـهامهم القليلة وتكـون كل رمية بقتيـل أو جريح، ويبقى عدوهم بعيداً عنهم أطـول مدة ممكنة تحدث الأثر المطلوب في زعزعة ثقتهم بأنفسهم.

وأمرهم ألا يخرجوا سـيوفهم مـن أغمادهما إلا إذا غشـيهم العدو وخالطهم. أضف إلى ذلك مشـاوراته وحسن استماعه إلى آراء أصحابه في شـأن الحرب وأسـلوبها وقبول الصالح منها والإشـادة به والدعاء لصاحبه بالخير، كما حدث مع الخباب بن المنذر الخزرجي، وسعد بن معاذ صاحب مشورة العريش.

هذا هو الأخذ بالأسباب وبقي الجانب الروحي الإيماني، فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يعلم أصحابه أن النصر من عند الله مع الأخذ بالأسـباب، فالله تعالي يقول لهم: (وأعدّوا لهم ما استطعتم مـن قوّة ومن رباط الخيـل ترهبون به عدوّ اللّـه وعدوّكم) - الأنفال: 60. وقد بيّنـا قبلاً أن القوة تختلف باختلاف الزمـان والمكان والقدرة المادية, والواجب بذل أقصى الطاقة للوصول إلى غاية القوة التي تضمن للأمة أمنها وسلامتها وعزتها. ثم يأتي بعد ذلك دور الثقة في نصر الله، وإليه يلجأ المؤمن بقلب سليم خالص يسأله التوفيق والسداد والنصر،

وهكذا فعل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم، فقد بات ليله سـاجداً ينادي الحـي القيوم ويناجي ربه ويناشـده أن ينجز وعده له بالنصر حتى أشـفق عليه الصديق من كثرة دعائه وابتهاله وإلحاحه على ربه في طلب النصر، فاعتبروا يا أولي الألباب.

وحين رأى المسلمون القتال قد نشب والتحمت الصفوف عجوا[1] إلى الله بالدعاء يستمدونه نصره وعونه فأمدهم الله تعالى بالملائكة، كما أمدهم بالقوة والثبات وألقى في قلوب الذين كفروا الرعب.

يروى عن ابن عباس أنه قال: إن إبليس قد تصور في صورة سراقة بن جعشـم المدلجي يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لكم من الناس، فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: (إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف اللّه واللّه شديد العقاب) - الأنفال: 48. فتشبث به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقة بن جعشم المدلجي، لما سـمع من كلامه فضرب في صدر الحارث فسـقط الحارث، وانطلق إبليـس لا يرى حتى وقع في البحر ورفع يديه وقال: يارب موعدك الذي وعدتني.[2]

وأقبل أبو جهل على أصحابه يحرضهم على القتال ويقول: لا يغرنكم خـذلان سراقـة بن جعشـم إياكـم فإنمـا كان على ميعـاد مع محمد

(1) عجوا إلى الله: رفعوا أصواتهم بالدعاء لله.
(2) الواقدي: المغازي.

وأصحابــه، ســيعلم إذا رجعنــا إلى قديد ما نصنع بقومــه، لا يهولنكم مقتــل عتبة وشــيبة والوليد فإنهم عجلــوا وبطروا حــين قاتلوا، وايم اللــه لا نرجــع اليوم حتى نقرن محمداً وأصحابــه في الحبال فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً، ولكن خذوهم أخذاً، نعرفهم بالذي صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد أباؤهم.

ولمــا التقى الصفان نادى نوفــل بن خويلد بصــوت رفيع، يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء، يا معشر قريش إن سراقة قد عرفتم قومه وخذلانهم لكم في كل موطن فاصدقوا القوم الضرب، فإني أعلم أن ابنــي ربيعة قد عجلا في مبارزتهما من بــارزا، فقال صلى الله عليه وســلم حين ســمع صوته: «اللهم اكفني نوفل بن خويلد» فلما انتهى القتال قال صلى الله عليه وسلم: «من له علم بنوفل بن خويلد؟» فقال عــلي رضي الله عنه أنا قتلته. فقال صلى الله عليه وســلم: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه».

## وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

ولما اشــتد القتال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنــه قائلاً: «أعطني حصى مــن الأرض» فناوله علي حصى عليه تراب فرمــى بــه في وجوه القوم وهو يقول: «شــاهت الوجــوه، اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم» ثم قال لأصحابه: «شدوا».

فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه من ذلك التراب شيء، ولم يبق مشرك

إلا وانهزم وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وحمل المسلمون على المشركـين يصيبـون ويثبتون وكأن هذه الحصباء التي ألقاها رسـول الله صلى الله عليه وسلم في وجوههم قد أصابتهم بالعمى. ونزلت الآية توضح أن الفعل الظاهر فعل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم، فقد أخـذ القبضة وألقى بها في وجوههم ولكن كم تبلغ هذه القبضة حتى تصيـب كل واحد منهم بحصاة، وكم تبلغ قوة رمية رسـول الله صلى الله عليه وسلم حتى تصل إلى قاصيهم ودانيهم؟.

إنها قـدرة الله ضاعفـت الحصى أضعافـاً حتى أصابتهـم جميعاً، وضاعفت من قـوة الرمية أضعافاً كثيرة حتـى وصلت إليهم جميعاً. وفي ذلك يقول البوصيري:

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً

ما العصا عنده ومـا الإبقاء

وقاتـل المسـلمون بهمة من يطلب الشـهادة قبل النـصر، ولا يقبل الهزيمة بحال مـن الأحوال، لا يترددون ولا يتراجعون، يسرع بعضهم إلى مؤازرة بعض، رغم قلتهم فقد صاروا بإيمانهم ويقينهم بنصر الله عند الملحمة كثر.

## بطولات إيمانية

وظهرت في هذه الموقعة عند اللقاء بطولات إيمانية رائعة من نفوس تطلب شهادة لتحيا في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

فقــد روي أن النبــي صلى الله عليه وســلم خــرج إلى الناس فحرضهم فقــال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليــوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»، فقال عمير بن الحمام: بــخ بخ ما بيني وبــين أن أدخل الجنــة إلا أن يقتلني هــؤلاء، ثم قذف بتمرات كانت في يده وأخذ ســيفه وقاتل حتى قتل، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين»، فقال عمير: بخ بخ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لــم تبخبخ؟» فقال عمير: رجــاء أن أكون من أهلهــا، ثم أخذ تمرات يلوكهــن ثــم قال: واللــه إن حييت حتــى آكل تمراتي هــذه إنها لحياة طويلة، فنبذهن وقاتل حتى قتل[1]، وهو يقول:

ركــضــاً إلى الــلــه بــغــير زاد
إلا الــتــقــى وعــمــل المــعــاد
والــصــبر في الله عــلى الجهاد
وكـــل زاد عــرضــة النفاد

كان حارثة بن سراقة قد ســأل رســول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالشــهادة حين استقبله عليه الصلاة والسلام وسأله: «كيف أصبحت يا حارثــة؟» قال: أصبحت مؤمناً بالله حقــاً. قال: «انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة» قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا

(1) سيرة ابن هشام 627.

فأســهرت ليلي وأظمأت نهاري، فكأني بعرش الله بارزاً، وكأني أنظر عــلى أهل الجنــة يتزاورون فيها، قــال صلى الله عليه وســلم: أبصرت فالزم عبد» أي أنت عبد بذر الله الإيمان في قلبه، قال حارثة: فقلت: ادع الله لي بالشــهادة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أول شهيد من الأنصار في بدر أصابه سهم وهو يشرب على الحوض.

عــن أنس بن مالــك: أصيب حارثة يوم بدر، وهــو غلام، فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وســلم، قالت: يا رســول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترَ ما أصنع؛ فقال: «ويحكِ، أو هبلتِ، أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى» رواه البخاري.

وقال عوف بن الحارث -ابن عفراء- يا رسول الله ما يضحك[1] الرب من عبده؟ قال عليه الصلاة والســلام: «غمسه يده في العدو حاسراً»[2] فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

ومــن أبطال بدر علي بن أبي طالــب رضي الله عنه فقد قتل وحده في ذلك اليوم اثنين وعشرين رجلاً.

ومن أبطــال بدر حمزة بن عبدالمطلب, يــروي عبدالرحمن بن عوف رضي اللــه عنــه، أنه حين أخذ أمية بن خلف أســيراً قال لــه: إني رأيت

---

(1) الضحك هنا من الرضا والفرح.

(2) حاسراً أي بدون درع.

رجلاً فيكم اليوم معلماً في صدره ريشة نعامة من هو؟ قلت حمزة بن عبدالمطلب، فقال: فذاك الذي فعل بنا الأفاعيل[1].

وكان عـلي رضي الله عنه يقول: إني يومئـذ (يوم بدر) بعدما ارتفع النهار وقـد اختلطت الصفوف خرجت في أثر رجل منهم فإذا رجل من المشركين على كثيب وسـعد بن خيثمة وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سـعد بن خيثمـة والمشرك مقنع في الحديد، وكان فارسـاً فاقتحم عن فرسه فعرفني وهو معلم ولا أعرفه، فناداني هلم ابن أبي طالب للبراز قـال: فعطفت عليه فانحط إليّ مقبلاً وكنـت رجلاً قصيراً فانحططت راجعاً لكي ينزل إليّ فكرهت أن يعلوني بسيفه فقال: يا ابن أبي طالب فررت؟ فقلت: قريباً مفر، ابن الشـتراء؟! قال: فلما اسـتقرت قدماي وثبت أقبل فلما دنا مني ضربني، فاتقيت بالدرقة فوقع سـيفه فلزم فأضربـه على عاتقه وهـو دارع فارتعـش، ولقد فض سـيفي درعه فظننت أن سـيفي سيقتله فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ويقع السـيف فأطن قحف رأسه بالبيضة وهو يقول: خذها وأنا ابن عبدالمطلب: فالتفت من ورائي فإذا حمزة بن عبدالمطلب.

كذلك من أبطال بدر عكاشة بن محصن[2], وهو من بني أسد حليف لبني عبد شـمس بن عبد مناف من المهاجرين الأول، شـهد بدراً وقاتل

(1) ابن هشام 362.
(2) سيرة ابن هشام 638ـ637.

وصـال وجال كالأسـد الهصور يحصـد رقاب المشركـين حصداً حتى انكسر سـيفه، ولم يجد في ذلك عذراً ليتردد أو يمتنع عن القتال فذهب إلى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يخبره أن سيفه انكسر، فأعطاه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم جزل حطب، وقال له «قاتل بهذا يا عكاشـة»، فأخذه فهزه في يده فعاد سـيفاً صارماً طويلاً شـديد المتن أبيض الحديد، فقاتل به حتى جاء نصر الله. وبقي عنده هذا السـيف وشـهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد في حروب الردة.

ولعكاشـة رضي الله عنـه قصة طريفة مع رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم. جاء في الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة سـبعون ألفاً من أمتي بغير حسـاب، على صورة القمر ليلة البدر، وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون» فقال عكاشة: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهـم اجعله منهم» أو قال: «أنت منهم»، فقال رجل آخر: ادع الله يا رسـول الله أن يجعلني منهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «سبقك بها عكاشة» فصارت مثلاً.

ومـن أبطـال بـدر أبو دجانة سـماك بن خرشـة الأنصـاري، يروي عبدالرحمن بن عوف أن أمية بن خلف سأله: فمن رجل دحداح قصير معلم بعصابة حمراء؟ قال: قلت ذاك رجل من الأنصار يقال له سماك بن خرشـة، فقال وبذاك أيضاً يا عبدالإله صرنا اليوم جزراً لكم - قتل

في ذلك اليوم ثمانية من المشركين.

ولما جال المسلمون واختلطوا أقبل عاصم بن أبي عوف بن ضبيرة السهمي كأنه ذئب يقول: يا معشر قريش عليكم بالقاطع مفرق الجماعة الآتي بما لا يعرف, محمد، لا نجوت إن نجا ويعترضه أبو دجانة، فاختلفا ضربتين، وضربه أبو دجانة فقتله، ووقف على سلبه يسلبه، فمر عمر بن الخطاب وهو على تلك الحال، فقال دع سلبه حتى يجهض العدو، وأنا أشهد لك به، ويقبل معبد بن وهب فضرب أبا دجانة ضربة فبرك أبو دجانة فذبح المشرك ذبحاً وأخذ سلبه.

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة - ويقال: عَبيدة- بن سعد بن العاص، وهو مدجج، لا يرى منه إلا عيناه - وكان يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة، فطعنته في عينه فمات. قال هشام بن عروة: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها. قال عروة: فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه إياها، فلما قبض أخذها. ثم طلبها أبو بكر، فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر، أخذها، ثم سألها عمر، فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل وقعت إلى آل علي، فطلبها عبدالله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل. أخرجه البخاري.

ومن أبطال بدر الخباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأي. وثابت بن

الجـذع، والمجـذر بن زيـاد، ومعاذ بن عمـرو بن الجموح، وسـعد بن الربيـع، ورفاعة وعبدالله وزهير والسـائب أبناء رفاعة. وأبو بردة بن نيـار قال: أتيت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتها بين يدي رسـول الله صلى الله عليه وسـلم، فقلت يا رسول الله، أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً أبيـض طويلاً ضربه فتدهدى أمامه (تدحرج أمامه) فأخذت رأسـه، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: «ذاك فلان من الملائكة»[1].

أشـجع النـاس أبو بكـر: جعلنا لرسـول الله صلى الله عليه وسـلم عريشـاً فقلنـا: من يكـون مع رسـول الله لئـلا يهوي إليـه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شـاهراً بالسـيف على رأس رسـول الله صلى الله عليه وسـلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهو أشجع الناس[2].

أما بطل الأبطال وأشجع الشجعان فهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسـلم، فقد رآه الناس يتعقب المشركـين يوم بدر وهو يتلو قول الله تعالى: (سيهزم الجمع ويولّون الدّبر) - القمر: 45.

وعن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم هـو أقربنا إلى العدو وكان من أشـد الناس

(1) رواه أبو عفير عن رافع بن خديج عن أبي بردة. الواقدي: المغازي.
(2) مرويات غزوة بدر.

يومئذ بأساً.

كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر عبدالرحمن بن أبي بكر، وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة، وقيل عبد العزى، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن، وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن ولد أبيه وكان صالحاً وفيه دعابة.

فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي يوم بدر مراراً فصدفت عنك، أي أعرضت عنك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو هدفت لي لم أصدف عنك. أما والله لو لقيتك لقتلتك. فعبدالرحمن قارن بين أبيه والكفر فرجح أبوه. وأبو بكر قارن بين ابنه والإسلام فرجح الإسلام.

وقد شد الله أزر المسلمين بالملائكة، فقتل من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر، قالوا وكان سيماء الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضراء وصفراء وحمراء من نور والصوف في نواصي الخيل.

عن عاصم بن عمرو، عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الملائكة قد سومت فسوِّموا» فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وأبو بكر الصديق، وسعد بن معاذ في نفر من الأنصار والمهاجرين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو. فلما رأى سعد إقبال المسلمين على أسر المشركين تغير وجهه، فسأله عليه الصلاة والسلام:

«فكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟» فقال سعد: أجل يا رسول الله، كانت أول موقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال.

وذكر بعض رواة السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «إنكم عرفتم أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا إكراهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله» أي يكتفي بأسره. وقال: «ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله» لدفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، ولأنه حضر معه بيعة العقبة وأخذ له المواثيق.

هذا وقد روي عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال لي أبو رافع مولى رسول الله: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب – ثم وهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم – وكان العباس رضي الله عنه قد أسلم وأسلمت زوجته أم الفضل (قيل إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها) وهي أم أولاده وأسلمت أنا (أبو رافع) وكنا نكتم إسلامنا، لأن العباس كان يكره خلاف قومه، لأنه كان ذا مال كثير، وأكثره متفرق في قريش، ولم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح. لهذه الأسباب ولخروجه مكرهاً أمر الرسول عليه الصلاة والسلام: ألا يقتل العباس. ولقي المجذر بن زياد رضي الله عنه أبا البختري فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك، فقال البختري: وزميلي، وكان معه رفيق قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن

مليحة، فقال المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك، قال: لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تتحدث عني نساء مكة أن تركت زميلي، فقتله المجذر بعد أن قاتله. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً، فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني فقتلته.

وفي هذا اليوم قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه- وكان مشركاً- فإن أباه قصده ليقتله، فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه فلم ينكف، فرجع عليه وقتله، وفيه نزل قول الله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون باللّه واليوم الآخر يوادّون من حادّ اللّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) - المجادلة: 22.

## مصرع عدو الله أبي جهل

لما رأت بنو مخزوم مقتل من قتل من المشركين قالوا: أبو الحكم لا يخلص إليه فإن ابني ربيعة قد عجلا وبطرا[1]، ولم تحام عليهما عشيرتهما، فاجتمع بنو مخزوم وأحاطوا بأبي جهل، وجعلوه بينهم في حلقة حتى لا يصل إليه أحد، ثم بالغوا في الحرص عليه، فألبسوا لامته عبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، فلقيه علي بن أبي طالب كرم

(1) المقصود بهما: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وكانا أول قتلى المشركين مع الوليد بن عتبة.

الله وجهه فقتله، وهو يحسبه أبا جهل، قتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبدالمطلب، ثم ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة فتصدى له حمزة رضي الله عنه، وهو يراه أبا جهل، فقتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبدالمطلب، ثم ألبسوها حرملة بن عمر، فصمد له علي رضي الله عنه، كل ذلك وأبو جهل بين قومه يجاهدون ألا يصل إليه أحد، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم، فأبي أن يلبسها يومئذ.

فقال معاذ بن عمرو بن الجموح: نظرت إلى أبي جهل في مثل الحرجة وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص إليه. فقلت: والله لأموتن دونه اليوم، أو لأخلصن إليه فصمدت له حتى إذا أمكنتني منه غرة[1]، حملت عليه فضربته ضربه وطرحت رجله من الساق فشبهتها بالنواة تنزو من تحت الراضخ (حجر يكسر بها النوى) ثم أقبل ابنه عكرمة علي فضربني على عاتقي، وطرح يدي إلا أنه بقيت جلدة، فإني أسحب يدي بجلدة من خلفي فلما آذتني وضعت عليها رجلي فتمطيت عليها حتى قطعتها، ثم لاقيت عكرمة وهو يلوذ كل ملاذ (يعني يفر ويهرب) لو كانت يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبه. هذا وقد روي عن جابر بن عبدالله قال: أخبرني عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى سيف أبي جهل معاذ بن عمرو بن الجموح.

وقد رويت رواية أخرى في مصرع أبي جهل: عن عبدالرحمن بن

---

(1) غرة: بكسر الغين أي غفلة.

عوف رضي الله عنه أنه حين صف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للمعركة ليلاً، وبقي الناس في صفوفهم حتى الصباح، فنظر رضي الله عنه عن يمينه وعن شماله فوجد شابين صغيرين قد ربطت حمائل سيفيهما في أعناقهما لصغرهما فقال في نفسه: لو كنت بين أضلع منهما، فلم ألبث أن التفت إلي أحدهما وقال: يا عم أيهم أبو جهل؟ قلت: وما تصنع به؟ قال بلغني أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلفت لئن رأيته لأقتلنه أو لأموتن دونه، فأشرت إليه. والتفت إليّ الثاني فقال مثل قول الأول، فأشرت له إليه، وقلت من أنتما قالا: ابنا الحارث. قال عبدالرحمن فجعلا لا يطرفان عن أبي جهل، حتى إذا كان القتال خلصا فقتلاه وقتلهما.

ولما وضعت الحرب أوزارها سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي جهل، وأمر أن يلتمس في القتلى، فوجده عبدالله بن مسعود في آخر رمق. قال: فوضعت رجلي على عنقه، فقلت الحمد لله الذي أخزاك. فقال: إنما أخزى الله عبد بن أم عبد، لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله. قال ابن مسعود: قلت إني قاتلك يا أبا جهل، قال لست بأول عبد يقتل سيده، أما إن أشد ما لقيته اليوم في نفسي لقتلك إياي، ألا يكون ولي قتلي رجل من الأحلاف أو من المطيبين، فضربه عبدالله ضربة ووقع رأسه بين يديه، وحمل سلاحه ودرعه وبيضته، فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبشر يا نبي الله بقتل عدو الله أبي جهل، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسـلم: «أحقاً يـا عبدالله؟ فوالذي نفسي بيده لهو أحب إلي من حمر النعم», وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبـي جهل وقال: «إن الله قتل فرعـون هذه الأمة أبا جهل، فالحمد لله الـذي صدق وعده ونصر عبـده، اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتمم علي نعمتك» -أو كما قال.

ومـا اتفق عليه كثـر المحدثين أن معـاذ بن عمرو وابنـي عفراء قد أثبتوا[1] أبا جهل، وضرب ابن مسـعود عنقه في آخر رمق. لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما وقف على مصرع ابني الحارث فقـال: «يرحم الله ابني عفراء فإنهما قد شـاركا في قتل فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر»[2].

وفي مجمع الزوائد للهيثمي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله؟. قال وبما أخزاني من رجل قتلتموه. ومعي سيفي فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شي، ومعه سـيف له جيد فضربت يده فوقع السـيف من يده، فأخذته ثم كشـفت المغفر عن رأسـه فضربت عنقه ثم أتيـت النبي صلى الله عليه وسـلم فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو» قلت: الله الذي لا إله إلا هو. قال: «فانطلق فاستثبت» فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر

(1) أي أصابوه بجروح قاتله.
(2) انظر سيرة ابن هشام 636-634.

ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انطلق» فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه صلى الله عليه وسلم قال: «هذا فرعون هذه الأمة».

## مصرع أمية بن خلف

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش: على شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي جهل بن هشام، فأشهد بالله، لقد رأيتهم صرعى، قد غيرتهم الشمس، فكان يوماً حاراً. قال فأتيت أبا جهل وبه رمق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلقت فوجدته قد ضربه ابن عفراء، حتى برد. فقلت: أنت أبو جهل؟ وأخذت بلحيته وهو صريع، وقد ضربت رجله، فقلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: -ولا أهابه عند ذلك- فقال: هل فوق رجل قتلتموه -أو قال: قتله قومه- فلو غير أكّار قتلني؟ قال: فقتلته بسيفي، وسيفه بيده، فلم يغن شيئاً، فبصق إلى وجهي وقال: سيفك كهام، خذ سيفي، فاحتز به رأسي من عرشي، فأجهزت عليه. فنفلني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، لما أجهزت عليه، وكان قد أثخن. قال: وكان عتبة قد أشار على أبي جهل بالانصراف. فقال له أبو جهل: قد انتفخ سحره من الخوف. فقال له عتبة: سيعلم مصفر استه أينا انتفخ سحره. رواه البخاري وأبو داود.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يوم بدر: «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد. قال فأخذ بلحيته، فقال أنت أبو جهل. ثم قال: وهل فوق رجل قتلتموه.

عـن عبدالرحمن بن عوف رضي اللـه عنه قال: كاتبت أمية بن خلف كتابـاً: أن يحفظني في صاغيتي بمكـة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة. فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن. كاتبني باسمك الذي كان لـك في الجاهليـة، فكاتبته «عبد عمرو» فلما كان يـوم بدر، وحصل لي درعـان، فلقيني أميـة فقال: خذني وابني، فأنا خـير لك من الدرعين، أفتـدي منك. فرآه بـلال فقال أمية رأس الكفـر، لا نجوت إن نجا أمية فقتلهما، فكان ابن عوف يقول: يرحم الله بلالاً، فلا درعـيّ ولا أسيريّ.

وفي رواية:

فأبـصره بلال فخرج حتى وقف على مجلـس من مجالس الأنصار، فقـال: يا معشر الأنصار، أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشـيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشـغلهم به فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان أمية رجلاً ثقيلاً فلما أدركونا قلت له أبرك، فألقيت نفسي عليه، لأمنعه فيخلوه، فتخللوه بالسـيوف من تحتي حتى قتلوه، فأصاب أحدهم رجلي بسيفه. وكان عبدالرحمن يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه. أخرجه البخاري.

والحكم: أن الأسـير أمره إلى الإمام يقتلـه أو يفاديه أو يعفو عنه أو

يسترقه، ينظر في ذلك إلى مصلحة الأمة الإسلامية وهو الأمين عليها.

أمـا ما فعله بـلال من إصراره على قتل أمية بـن خلف، فهو اجتهاد منه، نظر فيه إلى ماضي أمية البغيض في مقاومته للإسلام وعداوته لله ورسـوله وللإسلام والمسلمين، فهو في نظره مجرم حرب وليس مجرد أسير خرج للقتال فأسر، فقد ارتكب من الجرائم والفظائع في مكة قبل هجرة المسلمين، وربما بعدها ما يستحق عليه القتل وزيادة.

## علي رضي الله عنه يقتل نوفل بن خويلد

لمـا التقى الجمعان أخـذ نوفل بن خويلد يصيـح بصوت رفيع زجل ويقول: يا معشر قريش إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اكفني نوفل بن خويلد».

فلمـا رأي نوفل انكسـار قريـش، ومقتل أصحابـه وفرارهم، جعل يصيـح في الأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما تـرون ما تقتلون؟ أما لكم في اللبـن حاجة؟ فأسره جبار بن صخر وسـاقه أمامه، فرآه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتذكر موقفه عند بدء القتال، وتحريضه المشركين على القتال والثبات ومواقفه السابقة من عداوته لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم، فتصـدى له، وصمد له علي فقطع سـاقيه ثم أجهز عليه فقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من له علم بنوفـل بن خويلد؟» فقال عـلي: أنا قتلته، فكبر رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه».

وقتل علي -رضي الله عنه- العاص بن سـعيد، وقد أقبل يحث القتال فالتقـى هو وعلي فقتلـه علي. وقتل عمر بن الخطـاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشـام بن المغيرة بيده في ذلـك اليوم. كما قتل حمزة رضي الله عنه عمرو بن عبد حين, وجده علي رضي الله عنه يقاتل سعد بن خيثمة رضي الله عنه فيقتله، فتقدم منه علي واستدرجه حتى نزل عن فرسـه وصارا وجهاً لوجه، وضربه علي عـلى عاتقه ففض درعه ورفع سـيفه ليجهز عليه فإذا بسـيف يبرق خلفه فطأطأ علي رأسـه فإذا حمزة يضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن عبدالمطلب.

كما قتل في ذلك اليوم عبيدة بن سعيد بن العاص، والعاص بن سعيد بن العاص، وعامر بن الحضرمي، وربيعة بن الأسـود سـيد بني أسـد بـن عبد العـزى، وأبو البختري العاص بن هشـام، والحارث بن ربيعة بن الأسـود، وعقيل بن الأسـود بـن عبدالمطلب، وعمير بـن عثمان بن عمرو بن كعب، ومسعود بن أمية، ونبيه بن الحجاج، وأخوه منبه بن الحجاج، والعاص بن منبه.

بعـد مقتل هؤلاء وغيرهم من سراة مكة وسـادة قريش وأهل الثراء والجـاه العريض فيها أخذ المشركون يفرون من وجه المسـلمين، كما أخذ بعضهم يلقي سـلاحه ويستأسر للمسلمين الذين هدأت نفوسهم واطمأنـت قلوبهم، فقد صدقهـم الله وعده ونصر عبـده وهزم عبدة الطاغوت شر هزيمة، فأخذ فريق من المسلمين يجمع الغنائم المطروحة على أرض المعركة -وهي كثيرة- ويأخذون الأسرى الذين آثروا السلامة

وأعطوا بأيديهم، وأخذ فريق آخر من المسلمين في مطاردة الفارين من المشركين حتى يضمنوا عـدم عودتهم إلى ميدان المعركة ويأخذون من يجدونـه في أرض المعركة أسـيراً. وهنا ظهرت الكراهية في وجه سـعد بن معاذ رضي الله عنه، ولما سـأله رسـول الله صلى الله عليه وسـلم عـن ذلـك. قال: كانت هـذه أول وقعـة ينصر الله فيها المسـلمين على أهـل الشرك، فكان الإثخـان في القتل أحب إلي من اسـتبقاء الرجال[1]. وكان سـعد بن معاذ ضمـن الجماعة التي أحاطت برسـول الله صلى الله عليه وسـلم في عريشه حتى لا يسـتغل المشركون فرصة انشغال المسلمين بجمع الغنائم وأخذ الأسرى فيكرون عليه في قبته، والرسول عليه الصلاة والسـلام يشرف على ميدان المعركة من عل ويدعو الله أن يتم نصره عليه وعلى المسلمين ويتجه إليه بالحمد والثناء أن أنجزه ما وعده.

## عين رفاعة بن مالك

وعن رفاعة بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني، فبصق فيها رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ودعا لي فما آذاني منها شيء بعد.

وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشـمس، فأقام رسـول الله

(1) سيرة ابن هشام 628.

مكان البئر الذي أبقاه الرسول صلى الله عليه وسلم بناء على رأي الحباب

**صلى الله عليه وسلم ببدر، وأمر عبدالله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر عليه الصلاة والسلام نفراً من الصحابة أن يعينوه فصلى العصر ببدر، ثم رحل فمر على وادي الأثيل، ونزل وبات على بعد أربعة أميال من بدر، وكان وصوله قبل غروب الشمس فنزل به وبات به وفي أصحابه جراح ليست بالكثيرة.**

**وقال لأصحابه: «من رجل الليلة يحفظنا» فسكت القوم وقام رجل فقال صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» قال: ذكوان بن عبد قيس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجلس» ثم عاد صلى الله عليه وسلم يسأل: فقام رجل فقال: «من أنت؟» قال: ابن عبد قيس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجلس» ثم مكث ساعة ثم قام رجل فقال:**

«من أنت؟» قال: أبو سبع. ثم مكث ساعة وقال: «قوموا ثلاثتكم» فقام ذكوان بن عبد قيس وحده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأين صاحباك؟» قال يا رسول الله أنا الذي أجبتك الليلة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فحفظك الله» فكان يحرس المسلمين الليلة حتى كان آخر الليل.

## الملائكـــة في بـــدر

(إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألفٍ من الملائكة مردفين) - الأنفال: 9.

(إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا سألقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان) - الأنفال: 12.

(ولقد نصركم اللّه ببدر وأنتم أذلّة فاتّقوا اللّه لعلّكم تشكرون، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين) - آل عمران : 123 - 125.

جاء في القرطبي وغيره أن هذا الإمداد ببدر، فكان المدد ألفاً ثم ثلاثة آلاف، وصبر المسلمون فصار المدد خمسة آلاف.

حين التقت الصفوف يوم بدر ورأى المسلمون عدوهم بعدده وعدته وبغيه، توجهوا مقتدين بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى رب

العزة بالدعاء يستغيثون من لا مغيث سواه، ويستنصرون من لا ناصر غيره، ينصر من ينصره وهو القوي العزيز، فاستجاب الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وأوليائه المؤمنين، فأمدهم بمدد السماء وجاءهم جبريل يقود الملائكة لينضموا إلى صفوف المسلمين، وبهم كثر العدد، واشتد العزم، وثبتت القلوب والأقدام، وقاتل جند الله قتال الأبطال وكأنهم كما قال الشاعر العباسي بعد ذلك (في جفن الردى وهو نائم) لا يهابون الموت، ويثقون أن النصر لهم لأن الله معهم.

عن مالك، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أري الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أري يوم بدر»، قيل: وما رأى يوم بدر قال: «أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة». موطأ مالك: كتاب الحج، حديث: 245

قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ «هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور». المغازي 1/78.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ -أي يوم بدر- يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا

هو قد خطم أنفه، وشــق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رســول الله صلى الله عليه وســلم، فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة».

روى الواقــدي: حدثنــي عبدالله بن مــوسى بن أمية بــن عبدالله بن أمية، عن مصعب بن عبدالله عن مولى لسهيل، قال: سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق[1] بين السماء والأرض معلمين، يقتلون ويأسرون، وكان أبو أســيد الساعدي يحدث بعــد أن ذهب بصره قــال: لو كنت معكم ببدر ومعــي بصري لأريتكم الشعب -وهو الملص- الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أمتري.

فحدثني موسى بن محمد، عن أبيه، قال كان السائب بن أبي حبيش الأســدي يحدث في زمن عمر بن الخطاب يقــول: والله، ما أسرني أحد مــن الناس، فيقــال: فمن؟ فيقول: لما انهزمــت قريش انهزمت معها، فيدركنــي رجــل أبيض طويــل على فرس أبلــق بين الســماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجــاء عبدالرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبدالرحمن بن عوف ينادي في المعسكر: من أسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن أبي حبيش من أسرك؟ فقلت: لا أعــرف، وكرهت أن أخبره بالــذي رأيت، فقال رســول الله صلى الله

(1) بلق: فيها سواد وبياض.

عليه وسلم: «أسره ملك من الملائكة كريم، اذهب يا ابن عوف بأسيرك» فذهب بي عبدالرحمن فقال السائب: فما زالت تلك الكلمة أحفظها، وتأخر إسلامي حتى كان ما كان من إسلامي.

وعن البراء قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله، ليس هذا أسرني، أسرني رجل من القوم أنزع، من هيئته كذا وكذا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد آزرك الله بملك كريم. رواه أحمد.

وقال الواقدي فحدثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم، فيقول: إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، وذلك قول الله تبارك وتعالى: (إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا) - الأنفال: 12.

قال البخاري رحمه الله: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب». وفي الجامع الصغير: «كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم أحد عمائم حمر»، وهذا لا ينافي ما جاء: كان على الزبير رضي الله عنه في بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فقال صلى الله عليه وسلم: «نزلت الملائكة على سيما أبي عبدالله» - يعني الزبير رضي الله عنه - لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر.

وعن علي رضي الله عنه قال: كان سيما الملائكة (أي سيما خيلهم يوم بدر) الصوف الأبيض، وفي لفظ: بالعهن الأحمر في نواصي الخيل وأذنابها، وعن ذلك قال صلى الله عليه وسلم: «سوموا خيلكم فإن الملائكة قد سومت» فهو أول يوم وضع فيه العهن (الصوف) في نواصي الخيل وأذنابها.

وروى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: لم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، قال الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة: والذي نراه والله أعلم أن الإمداد بالملائكة حصل قطعاً لتكثير المسلمين. وأن بعضهم قاتل لأملهم وأن الجهاد الأكبر في القتال للمسلمين.

## تفسير وبيان

النصوص السابقة من القرآن الكريم ومرويات السنة قاطعة الدلالة على نزول الملائكة يوم بدر ومشاركتهم مع المسلمين في المعركة، فالله تعالى يقول: (فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألف من الملائكة مردفين) - الأنفال: 9.

فالآية صريحة أن الله أمد المسلمين بألف من الملائكة يأتون متتالين مترادفين، ويرى بعض المفسرين أن معنى كلمة مردفين يتلوهم غيرهم ويأتي في أعقابهم آلاف أخرى واللفظ يحتمله.

وفي الآية الأخرى: (إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا سألقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق

واضربوا منهم كلّ بنان) - الأنفال: 9.

فإن بعض المفسرين يرى أن مهمة الملائكة في بدر كانت التثبيت.. تثبيت الذين آمنوا بحضور الحرب معهم، كما قيل إنه كان بمعاونتهم في قتال أعدائهم، لكن البعض يرى أن مهمة الملائكة كانت بث الطمأنينة في قلوب المؤمنين وتشجيعهم بالإيحاء إليهم أنهم أقوياء قادرون على هزيمة أعدائهم الضعفاء خائري العزم، كما يرى بعض المفسرين أن تثبيت الملائكة ونصرهم المؤمنين كان بتكثير العدد حتى يلقوا الرعب في قلوب الكفار ويلقوا الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين.

قال القرطبي رحمه الله: قوله (فثبّتوا الّذين آمنوا) أي بشروهم بالنصر، أو القتال معهم، أو الحضور معهم بغير قتال، أي إنه أجاز كل التفسيرات ولم يقطع بواحد منها، والخطاب في قوله تعالى: (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان)، فالخطاب فيه للمؤمنين عند من يرى أن الملائكة لم تقاتل، وللملائكة عند من يرى أنهم قاتلوا، ويجوز أن يكون الخطاب لهما معاً أن القتل يكون بضرب الأعناق، أما ضرب البنان فهو حتى يعجزوا عن حملان السيوف فيصبحوا عبئاً ثقيلاً على من سواهم ويسهل الوصول إليهم وقتلهم، ولا أرى غرابة ولا مخالفة للعقل والمنطق في القول بأن الملائكة اشتركوا في القتال مع المسلمين يوم بدر، بل العجب في القول بغرابته ومخالفته للعقل. الملائكة عباد الله من أخص خصائصهم أنهم (لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) - التحريم: 6. وقد وردت في القرآن

الكريم قصص تشــكل فيها الملائكة بصــورة البشر ولم ينكر ذلك أحد من المفسرين أو غيرهم، فقد جاء في ســورة مريم في سياق قصة مريم البتول عليها وعلى وليدها السلام (فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليهــا روحنا فتمثّل لها بشراً ســويّاً ، قالت إنّي أعوذ بالرّحمن منك إن كنت تقيّاً) - مريم: 18-17.

وفي قصة ســيدنا إبراهيم عليه الســلام (ونبّئهــم عن ضيف إبراهيم ، إذ دخلــوا عليه فقالوا ســلاماً قــال إنّا منكم وجلــون ، قالوا لا توجل إنّــا نبــّشرك بغلام عليــم) - الحجر: 51 - 53. (هــل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين، فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون، فأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف وبشّروه بغلام عليم، فأقبلت امرأته في صرّة فصكّــت وجههــا وقالت عجــوز عقيم، قالــوا كذلك قال ربّــك إنّه هو الحكيم العليم) - الذاريات:30-24.

وفي قصة لوط عليه الســلام: (فلمّا جاء آل لوط المرسلون، قال إنّكم قوم منكرون) - الحجر:62-61. (وجاء أهل المدينة يستبشرون، قال إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، واتّقوا اللّه ولا تخزون) - الحجر:69-67.

فهذه مريم قد تمثل لها جبريل بشراً سوياً، فخافته وقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً, وهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام جاءته الملائكــة في صــورة البشر فقــدم إليهــم الطعام فلم يأكلــوه، فأوجس منهم خيفة، لأنهم لم يأكلوا من طعامه، وها هي امرأته تراهم بشراً،

وتسمع مقالهم وتفهمه، فضربت وجهها بيديها وقالت عجوز عقيم، تعجب من قولهم ولا تصدقه.

وهؤلاء قوم لوط الفسقة ظنوهم بشراً، لهم صور جميلة فجاؤوا مستبشرين يريدونهم بالشر الذي يفعلون، فيقول لهم لوط عليه السلام: (قال إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، واتّقوا اللّه ولا تخزون) - الحجر:69-68.

وقد جاء في السنة المشرفة أن جبريل عليه السلام كان يجيء النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي، ويراه كل الحضور من المسلمين، فيسأل الرسول عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس أمور دينهم، وليعلمهم كيف يسألون.

فقد صح عندنا أن الله تعالى أمد المسلمين يوم بدر بالملائكة، وثبت بهم الأقدام والقلوب، كما ثبت من الأحاديث التي رويناها يقوي بعضها بعضاً أنهم كان لهم دور ومشاركة في القتال الذي دار يومئذ.

فإذا قلنا إنهم جاؤوا في صورة البشر كما ورد في بعض الأحاديث، وهو جائز حدث مع كثير من الأنبياء بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن السهل أن نتصور إتيانهم بما يأتي به البشر المؤمن من الطاعات والتكليفات التي يكلفهم الله تعالى بها، فهم يقاتلون ويحملون السلاح ويقتلون أعداء الله، وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها البشر، ومن قال بغير ذلك فقد جانب الصواب.

ونحن جميعاً نسلم بأن النصر من عند الله وأن الله نصر القلة

المؤمنة على الكثرة الكافرة المشركة لا فرق بين أن يكون النصر بالملائكة الذين جاؤوا في صورة البشر، وأحاطوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر بهم العدد فثبت الله بهم قلوب عباده المؤمنين، وقذف الرعب في قلوب الكافرين وأعملوا فيهم سيوف الإيمان فقتلوا وأسروا وانتصروا نصراً مبيناً.

وبين أن يكون جند الله ريحاً مرسلة تهدم الخيام، وتقلب القدور، وتعمى الأبصار بترابها، أو غير ذلك من جند الله، فهي كرامة أكرم الله بها عباده المؤمنين بأن كان الفعل لهم في صورته وظاهره ولله تعالى في حقيقته.

واعجب معي من هؤلاء الذين يقرون بنصر الله لعباده بالريح المرسلة، والطير الأبابيل، والأمطار والعواصف، والجراد وغير ذلك من الحشرات، ثم ينكرون أن يكون نصر الله بقتال الملائكة مع عباده المؤمنين.

وإنما كانت الملائكة شركاء لهم في بعض الفعل، ليكون الفعل منسوباً للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، وإلا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، كما فعل بمدائن قوم لوط، وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة، وليهابهم العدو بعد ذلك, حين يعلمون أن الملائكة تقاتل معهم.

وحتى يتعلم المسلمون أن بلوغ الغايات لا يكون إلا بالعمل والاجتهاد والكفاح وحسن الاستعداد، فهذه سنة الله في الخلق وفطرة الله التي

فطـر الناس عليها، ثم يأتي بعد ذلك عـون الله ونصره ومدده الذي لا يغلب ولا يخيب.

## أين نزلت الملائكة

الحوض الذي شرب منه الصحابة رضوان الله عليهم وردموا بقية الآبار

عندمـا زرت (بدر) ووقفت عـلى أماكن الغزوة وآثارهـا ومواقعها، رأيـت جبـلاً طويلاً بجـوار الحنان على يسـار الذاهـب إلى المدينة بينه وبين الحنان ممر صغير يسـمى «الملص»، وهو المكان الذي هرب منه أبو سـفيان عندما أدرك أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم يتعقبه، وقد سـمى الشـيخ باشـميل هذا الجبل بجبل الملائكة، وتوهم البعض أن الملائكـة نزلت على هـذا الجبل، مع أن الثابـت الصحيح أن الملائكة

نزلت على يمين رســول الله صلى الله عليه وسلم في أرض المعركة، وقد يكون سبب التسمية أن هذا الجبل هو الذي كان عليه الرجل الغفاري وابن عمه اللذان سمعا الملائكة داخل السحابة وهم يمرون فوق الجبل وســمعوا صوت الســلاح وغير ذلك ممــا جاء في الرواية، فربما ســمي الجبل بجبل الملائكة على هذا الأساس, والله أعلم.

# الفصل الرابع

# ما بعد معركة بدر

## إلقاء قتلى المشركين في القليب

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من قريش أن ينقلوا من مصارعهم التي كان قد أخبر بها ليلة المعركة، فلم يحد واحد منهم عن المكان الذي أشار إليه صلى الله عليه وسلم، وأمر بهم أن يلقوا في قليب خبيث مخبث، وكان من سنته صلى الله عليه وسلم إذا كان في سفر أو غزو، ومر على جيفة إنسان أن يأمر بدفنها، دون أن يتحقق مسلماً كان أو كافراً، ولكن لكثرة عدد قتلى المشركين في بدر أمر بهم فسحبوا، فألقوا في القليب عدا أمية بن خلف فقد كان منتفخاً متحللاً، فلما أرادوا سحبه تناثر لحمه وتزايل فأمر بتركه، وأهالوا عليه التراب والحجارة حتى دفنوه وغيبوه في التراب.

في مسند الدارقطني: كان من سنته صلى الله عليه وسلم في مغازيه، إذا مر بجيفة إنسان، أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمناً كان أو كافراً. ولكثرة جيف الكفار كره صلى الله عليه وسلم أن يشق على أصحابه أن يأمرهم بدفنهم، فكان جرهم إلى القليب أيسر وكان الحافر لهذا القليب رجل من بني النجار.

ولما جاء دور عتبة بن ربيعة وجر ليلقى في البئر، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فوجده قد تغير، ففطن صلى الله عليه وسلم إلى معاناته وقال له: «لعلك دخلك من شأن أبيك

شيء»، فقال أبو حذيفة: لا والله يا رسول الله، ولكني كنت أعرف من أبـي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه للإسـلام، فلما رأيت ما مات عليه أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً.

عـن أنس رضي الله عنه: كان رسـول الله صلى الله عليه وسـلم إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان اليوم الثالث أمر صلى الله عليه وسـلم براحلته فشـد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفا الركي (القليب) وجعل يقول: «يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد الله ورسـوله حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقا».

وجـاء في بعض الروايات نداؤه لهم بأسـمائهم، فقـال: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، بئس عشـيرة النبي كنتم، كذبتموني وصدقنـي الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس».

قال عمر رضي الله عنه: يا رسـول الله كيف تكلم أجسـاداً لا أرواح فيها؟ فقال صلى الله عليه وسـلم: «لقد سـمعوا مـا قلت غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئا».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحـسرة وندمـاً. روى البخـاري عن ابـن عمر رضي اللـه عنهما قال: وقـف النبـي صلى الله عليه وسـلم على قليب بدر فقـال: «هل وجدتم

مـا وعدكم ربكم حقا؟» ثم قال: «إنهم الآن يسـمعون ما أقول» فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت: (فإنك لا تسـمع الموتى...) حتى قرأت الآية، وهي (وما أنت بمسمع من في القبور) - فاطر: 32.

قال ابن كثير رحمه الله في هذه المسألة:

والصحيح عند العلماء رواية عبدالله بن عمر لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً عن ابن عباس مرفوعاً، «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسـلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد السـلام»، وثبت عنه صلى الله عليه وسـلم لأمته إذا سـلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سـلام من يخاطبونه، فيقول المسـلم: السـلام عليكم دار قوم مؤمنـين، وهذا خطاب لمن يسـمع ويعقل، ولولا هـذا الخطاب لكانوا بمنزلـة خطـاب المعـدوم والجماد. والسـلف مجمعون عـلى هذا وقد تواتـرت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويسـتبشر. اهـ. (مرويات غزوة بدر ص257).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكـن لأن قوله تعالى: (فإنك لا تسـمع الموتى) - الـروم: 52. لا ينافي

قوله صلى الله عليه وسلم «إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك.

وأما جوابها بأنه إنما قال: إنهم الآن ليعلمون فإن كانت سمعت بذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها.

ثم قال الحافظ: قال السهيلي ما محصلة: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له: أتخاطب أقواماً قد جيفوا؟

وإذا جاز أن يكونوا في هذه الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رؤوسهم على قول الأكثر أو بآذان قلوبهم. اهـ

ومكان هذا القليب الذي ألقي فيه قتلى المشركين معروف الآن في مدينة بدر, وقد وقفت عليه بنفسي. وذكر لي من أثق به من سكان بدر أنه عندما تنزل الأمطار على مدينة بدر ويطلع العشب وتنتشر الخضرة في كل مكان يلاحظ أن مكان القليب هذا لا ينبت فيه شيء من العشب بل يظل مجدباً والعياذ بالله والعهدة على الراوي كما يقولون.

## البشرى بالنصر والعودة

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة رضي الله عنه بشيراً لأهل العالية، وهي محل قريب من المدينة على عدة أميال، وبعث زيد بن حارثة لأهل السافلة بها راكبا ناقته صلى الله عليه وسلم

بما فتح الله على رسوله والمسلمين، فجعل عبدالله بن رواحة ينادي في أهل البادية العالية يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل المشركين وأسرهم.

ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بمثل ذلك، وكانا يقولان قتل فلان وفلان من أشراف قريش، وصار عدو الله كعب بن الأشرف يقول إن كان محمد قد قتل هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال رجل من المنافقين لأبي لبابة رضي الله عنه: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون بعده أبداً، قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب، قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي لبابة وسألته عما أسره له الرجل، فأخبرني بما أخبره به، فقلت: أحق ما تقول؟ قال: أي والله حق ما أقول يا بني، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق. فقلت: أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم، لنقدمنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم فيضرب عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه. وهذا كان قبل أن يجتمع أسامة بأبيه زيد بن حارثة.

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة، فلما خرج من مضيق الصفراء، قسم الغنائم وكانت مائة وخمسين من الإبل، وعشرة أفراس ومتاعاً وسلاحاً وأنطاعاً وثياباً وأدماً كثيراً حمله

المشركـون للتجـارة. فأخذ كل من قتل قتيلاً سـلبه، ومن أسر أسـيراً فهو له كما قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم، وما وجد مطروحاً وجمعه المسـلمون في أرض المعركة بعد فرار من بقي من قريش قسم عليهم بالتساوي.

وحـين اقترب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مـن المدينة خرج المسلمون يستقبلونه خارج المدينة على بعد عدة أميال وأخذوا يهنئونهم بهذا النصر العظيم، فإذا سـلمة بن سـلامة بن وقش يقول مهوناً من أمر قريش ومن قتل منها في بدر والله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعقلة فنحرناها، فتبسـم رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ثم قال: أي ابـن أخي أولئك المـلأ يريد أولئك أشراف الناس ورؤوسـهم، فخجل سلمة وقال: كأنك غير راض عني يا رسول الله؟ فقال رسول الله عليه الصـلاة والسـلام: «أما وقت قلـت هذا فنعم أنت قلت كـذا في يوم كذا، وكـذا في يوم كذا -يذكره بفلتات لسـانه- وصبرت عليك حتى تثوب إلى رشدك».

فازداد خجل سـلمة وأخذ يسترضي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلـف ألا يقول ما لا يرضيه بعد ذلك أبداً، وقد أمر رسـول الله صلى الله عليه وسلم بقسمة الغنائم بعد خروجه من مضيق الصفراء وقبل أن يصل إلى النازية.

وقد علمنا أن النضر بن الحارث قتل عند الصفراء، وعند عرق الظبية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن أبي معيط، هذا وقد

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسارى خيراً.

واستجاب أصحابه لوصيته وأحسنوا معاملتهم، بل كانوا يفضلونهم على أنفسهم أحياناً، واستقبل المسلمون نبيهم بالروحاء مهنئين بالنصر، وقد عمهم البشر بسلامته ونصره وإن فوجئ البعض بالأسرى من سادة قريش في الأغلال فأفلتت من أم سلمة كلمة أسرعت تعتذر عنها وتستغفر فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدر أنه أثر المفاجأة حين رأت سهيل بن عمرو في القيد.

## الأسرى واختلاف رأي الصحابة فيهم

انتهت معركة بدر بتلك الهزيمة النكراء التي حاقت بقريش وأحلافها، فقتل منهم أكثر من سبعين رجلاً، وأسر منهم مثل هذا العدد تقريباً، ولأول مرة وجد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وأصحابه في هذا الموقف، ماذا يفعل بكل هؤلاء؟ واتجه إلى سياسته المفضلة والأسلوب المقدم على غيره عنده فيما لم ينزل فيه قرآن وتعين الاجتهاد فيه، اتجه إلى المشورة، فجمع خيرة أصحابه وأصحاب الرأي فيهم وطلب منهم الرأي والمشورة.

وأصحابه صلى الله عليه وسلم لكل منهم خصائص يتميز بها عن غيره، فمنهم من يميل إلى الرقة واللين وله في ذلك أسباب وعلل، ومنهم من يميل إلى الحزم والحسم وله في ذلك أسباب وعلل. وقد تبلورت آراء الصحابة رضي الله عنهم في ثلاثة اتجاهات متميزة.

## اتجاه أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

فقـد قال: يا رسـول الله أهلك وقومـك. وفي رواية: هـؤلاء بنو العم والعشـيرة والإخـوان، قد أعطاك اللـه الظفر ونصرك عليهـم، أرى أن تسـتبقيهم وتأخـذ منهم الفداء فيكـون ما أخذنا منهـم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك، فيكونوا لنا عضداً.

## اتجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

فقد قال حين سـأله رسـول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كذبوك وأخرجوك وقاتلوك، وما أرى رأي أبي بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان -قريب له أو نسـيب- فـأضرب عنقه، وتمكن علياً من أخيه عقيـل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فـلان أخيه -يعني العباس- فيضرب عنقه، حتى يعلم أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين، ما أرى أن تكون لك أسرى فأضرب أعناقهم، هؤلاء صناديدهم وقادتهم.

## اتجاه ابن أبي رواحة رضي الله عنه:

اتجـه اتجاهاً أكثر عنفاً وصرامة مـن اتجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً، فقد قال: انظروا وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم ناراً, قال العباس حين سـمع رأي ابـن رواحة: ثكلتك رحمك. واختلف النـاس بين محبذ لرأي أبي بكر ومحبـذ لرأي عمر، وإن كان المحبذون لرأي عمر قلة.

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار. فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم. فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه. وتمكني من فلان -نسيب لعمر- فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء، أئمة الكفر وصناديدها. فهوِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت.

فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان. فقلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؛ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عرِضَ عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم).

وأنزل الله عز وجل: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) - الأنفال: 67. إلى قوله: (فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم) - الأنفال: 69. فأحل الله الغنيمة لهم. رواه مسلم.

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يرد عليهم ثم خرج

بعد قليل وقد مال إلى رأي أبي بكر فقال لهم: «إن الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشــدن قلوب أقوام فيه حتى تكون أشــد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة. ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم حيث يقول: (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) - إبراهيم: 36.

ومثلــك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال الله تعالى: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) - المائدة: 118.

ومثلــك يا عمر في الملائكة مثل جبريل: نزل بالشــدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى. ومثلك في الأنبياء مثل نوح عليه الصلاة والسلام إذ قــال: (رب لا تذر عــلى الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) - نوح: 27-26. ومثلك في الأنبياء مثل موسى عليه الصلاة والســلام إذ قال: (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) - يونس: 88.

ثــم قــال صلى اللــه عليه وســلم لأبي بكر وعمــر: «لــو توافقتما ما خالفتكمــا». ثم قــال: «أنتم عالة فــلا ينفلتن منهم أحــد إلا بفداء أو ضربة عنق».

قال عبدالله فقلت: يا رســول الله إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإســلام، قال: فسكت قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال: «إلا سهيل بن بيضاء».

ثم أمرهم أن يأخذوا من غنيهم الفداء أربعة آلاف درهم وثلاثة آلاف

وألفين وألف كل حسب قدرته ويساره وقدره، وقد جعل فداء بعضهم من الذين يعرفون الكتابة تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، وقد منّ على بعضهم بغير فداء. ثم نزلت الآيات من سورة الأنفال: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم) - الأنفال: 69-67.

فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً لما كان منه من موافقة على فداء الأسرى حتى بكى، وحزن الصديق رضي الله عنه لحزن رسول الله، ولما قدمه من مشورة ورأي حتى بكى، على الرغم من أن الآيات جاءت بالعفو من العتاب. وقال صلى الله عليه وسلم: «لو عذبنا في هذا الأمر ما نجا غيرك يا عمر»، ومعلوم أن سعد بن معاذ كان قد أظهر كراهيته لأخذ الأسرى، حين رأى إقبال المسلمين على أخذهم بعد هزيمة الشرك والمشركين.

تلكأت قريش في السعي لفداء الأسرى حتى لا يشمت المسلمون فيهم، وحتى لا يتعالوا في طلب الفدية.

وكان أول من ذهب خفية حتى لا تمنعه قريش المطلب بن أبي وداعة السهمي قدم المدينة وأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، ثم توالى أولياء الأسرى يطلبون الإفراج عن أسراهم.

## جبير بن مطعم بن عدي:

جاء يكلم النبي صلى الله عليه وسلم في الأسرى. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان شيخك حياً، أو الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم -في أسارى بدر- لشفعناه». وفي رواية: «لو كان المطعم حياً وكلمني في هؤلاء النفر لتركتهم له» لمعروفه عنده فقد أجاره عند عودته من الطائف ولموقفه النبيل من نقض صحيفة المقاطعة الجائرة الظالمة. وكان صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس وفاء لصاحب اليد عنده.

وكان من الأسرى عمرو بن أبي سفيان أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وامتنع أبواه أبو سفيان عن فدائه، وقال أيجمع علي دمي ومالي؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً، دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم.

ثم حانت له فرصة للغدر فعدا على سعد بن النعمان أخي بني عمرو بن عوف، حين وجده في مكة معتمراً، فحبسه بابنه، فذهب بنو عمرو بن عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكون به صاحبهم فأجابهم إلى ما طلبوا.

وكان من الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثت في فدائه قلادة لها كانت قد أهدتها إياها خديجة عند زواجها بعثت بها مع أخيه عمرو، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم القلادة رق قلبه لها. فقال لأصحابه: «إن رأيتم

أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا» ففعلوا. واشترط النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلها لتلحق بأبيها صلى الله عليه وسلم في المدينة، ففعل، وأرسل النبي من يرافقها إلى المدينة.

وكان من الأسرى سهيل بن عمرو العامري، وكان من خطباء قريش في الجاهلية -كان أعلماً- وقال عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: دعني أنزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيباً في موقع أبداً. فقال صلى الله عليه وسلم: «لا أمثل به فيمثل الله تعالى بي، وإن كنت نبياً، وعسى أن يقوم مقاماً لا تذمه», فكان كذلك عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قام خطيباً في مكة:

حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أيها الناس: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ألم تعلموا أن الله تعالى قال: (إنك ميت وإنهم ميتون) - الزمر: 30. وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) - آل عمران: 144. والله إني أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم: يعني أبا سفيان، فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم، ولكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم، وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم، وكلمته تامة، وإن الله ناصر من نصره ومقو دينه، وقد جمعكم الله على خيركم، إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رأيناه

ارتـد ضربنا عنقه، اهـ فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وكانوا قد هموا بالرجوع عن الإسـلام حتى أخافوا واليهم لولا موقف سهيل بن عمرو العامري، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قدم مكرز بن حفص في فداء سـهيل بن عمرو، فلما ذكروا قدراً من المـال أرضاهم، قـال لهم: ضعوا رجلي مكان رجلـه، حتى يعود بالمال، فخلوا سبيله وحبسوا مكرزاً.

وكان من الأسرى الوليد بن الوليد، افتكه أخواه هشـام وخالد، فلما افتدى أعلن إسلامه، فعاتبوه فقال: كرهت أن يظن بي أني جزعت من الأسر، فلما أراد الهجرة حبساه، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت في عمرة القضاء.

وكان مـن الأسرى وهب بن عمـير بن وهـب، أسره رفاعة بن رافع ومنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بغير فداء.

ولذلك قصة: فقد كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش، يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بمكة. جلس يوماً مع صفوان بـن أمية بعد بدر، فتذاكر بـدراً وما جرى فيها وأصحـاب القليب وما أصابهـم، فقـال عمير: أما والله لـولا دين عليّ ليس لـه عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي كنت آتي محمداً حتى أقتله، فإن لي فيهم علة، ابني أسير بين أيديهم.

فقال صفوان: على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسـيهم ما بقوا، قال: عمير فاكتم عني شأني وشأنك، قال: أفعل.

فأخذ عمير سيفه وشحذه وسقاه سماً، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، إذ نظر إلى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا بشر، فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال صلى الله عليه وسلم: «فأدخله علي»، فأقبل عمر رضي الله عنه حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فمسكه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه آخذ بحمائل سيفه في عنقه، قال: «أرسله يا عمر، ادن يا عمير» فدنا منه عمير ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة، ما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، يعني ولده وهباً، فأحسنوا فيه.

قال: «فما بال السيف؟» فقال عمير: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال صلى الله عليه وسلم: «أصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك. قال صلى الله عليه وسلم: «بل قعدت إلى صفوان بن أمية في الحجر، وذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك

صفــوان بدينك وعيالك عــلى أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك» قال عمير: أشــهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتي به من خبر الســماء وما ينزل عليك من الوحــي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنــا وصفــوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله تعالى، فالحمد لله الذي هداني للإســلام، وســاقني هذا المســاق، ثم شهد شــهادة الحق، فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا أســيره، ففعلوا ذلك، ثم قال: يا رســول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، فأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى اللــه وإلى الإســلام لعل اللــه أن يهديهم، وإلا آذيتهــم في دينهم، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وأسلم ولده وهب رضي الله عنهما.

وكان مــن الأسرى أبــو عزيز بن عمير، أخو مصعــب بن عمير لأبيه وأمه. قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب فقال لأبي اليسر الذي أسرني: شد يدك عليه فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك. قال أبو عزيز فكنت في رهــط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشــاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وســلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردها عليّ ما يمسها.

قــال لأخيه مصعــب حين قال لآسره شــد يــدك عليه: يــا أخي هذه وصاتك؟ فقال له مصعب: إنه أخي من دونك، فسألت أمه عن أغلى ما

فدي به قرشي؟ فقيل لها أربعة آلاف درهم ففدته بها.

وكان مـن الأسرى العباس بن عبدالمطلـب، عن ابن عباس قال: كان الـذي أسر العبـاس بن عبدالمطلب أبو اليسر بـن عمرو، وهو كعب بن عمرو أحد بني سـلمة، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أسرتـه يا أبا اليسر» قـال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا، هيئته كذا، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أعانك عليه ملـك كريم» وقيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ولو أردت أن تحملـه على كفـك لفعلت؟ قال: ما إن رأيته حتـى رأيته كالخندمة فاستسلمت له.

وقد شُـدّ وثاقه فأنّ، فلم ينم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل ما سهرك يا رسول الله؟ قال: «لأنين العباس» فقام رجل فأرخى وثاقه وفعل ذلك بالأسرى كلهم.

وأمره رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أن يؤدي فـداءه وفداء ابن أخيـه عقيـل بن أبي طالـب. وفي رواية أن العبـاس رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسـلم: لقد تركتني فقير قريش ما بقيت، فقال صلى الله عليه وسـلم: «كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهـب أم الفضل وقلـت لها: إن قتلـت فقد تركتك غنيـة ما بقيت»، وفي روايـة أن العبـاس رضي الله عنه قال: عـلام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين أو وكنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني، فقال له صلى الله عليه وسـلم: «اللـه أعلم بما تقول إن يك حقاً فـإن الله يجزيك، ولكن

ظاهــر أمرك أنك كنت علينا» وقد أنزل الله تعالى:(يأيها النبي قل لمن في أيديكــم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكــم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) - الأنفال: 70.

وقد تأخر إسلام العباس إلى ما بعد الفتح لأنه كان ذا مال كثير، وكان أكثره متفرقاً في قريش فتأخر إعلان إسلامه لهذا السبب، والله أعلم.

## فداء العباس

(يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكــم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ، وإن يريدوا خيانتــك فقــد خانوا الله من قبل فأمكن منهــم والله عليكم حكيم) - الأنفال: 7-70.

عن ابن عباس: أن رســول الله صلى الله عليه وســلم جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة[1].

عــن يحيى بن عبداللــه قال: لما قُــدِم بالأسرى حين قُــدِم بهم، قال: وســودة بنت زمعة عند آل عفراء في مناحتهم عــلى عوف ومعوذ ابني عفــراء، -وذلــك قبل أن يضرب عليهــن الحجاب- قال: تقول ســودة: واللــه، إني لعندهم إذ أتيت، فقيل: هؤلاء الأسرى قد أتي بهم، فرجعت إلى بيتي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن

(1) كذا بدون تعيين المعدود، وقد ورد في المغازي أن فداء بعض المشركين كان أربعة آلاف درهم.

عمرو في ناحية الحجر مجموعة يداه إلى عنقه بحيل. وذكر الحديث[1].

عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة، أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها؟ قالوا: نعم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليه ووعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال لهما: كونا ببطن يأجج، حتى تمر بكما زينب فتصطحباها، حتى تأتيا بها[2].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا، فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة الرايات، فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءاً لكم، لو انهزمتم فئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم دوننا ونبقى، فأبى الفتيان، وقالوا: جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا، فأنزل الله تعالى: (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) -

---

(1) رواه أبو داود.
(2) أخرجه أبو داود.

الأنفال:1.

يقــول: «كان ذلك خــيراً لهم، فكذلــك أيضاً فأطيعونــي، فإني أعلم بعاقبة هذا منكم».

وفي رواية يقول: فكمــا كان خروجه خيراً لكم، فكذلك فأطيعوا الله ربكم فإنه أعلــم بعاقبة أموركم ومصالحهــا، فاصطلحوا ورضي كل بقسم الله فيهم.

وفي رواية: فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواء[1].

عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى عمير بــن أبي وقاص فاســتصغره حين خــرج إلى بدر ثم أجازه قال ســعد: فيقال: إنه خانه سيفه، قال عبدالله - يعني -ابن جعفر المجرمي: قتل يوم بدر[2].

عن رفاعة بن رافع الأنصاري قال: أقبلنا يوم بدر ففقدنا رسول الله صلى الله عليه وســلم، فنادت الرفاق بعضها بعضاً: أفيكم رسول الله صلى الله عليه وســلم؟ فوقفوا حتى جاء رســول اللــه صلى الله عليه وســلم، فيهم علي بن ابي طالب فقالوا: يا رســول الله فقدناك، فقال: «إن أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه فتخلفت عليه»[3].

كمــا أنزل اللــه عز وجل: (أني معكــم فثبتوا الذين آمنوا ســألقي في

(1) أخرجه أبو داود.
(2) رواه البزار.
(3) رواه الطبراني.

قلوب الذين كفـروا الرعب فاضربوا فوق الأعنـاق واضربوا منهم كل بنان) - الأنفال: 12. وقال: (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) - الأنفال: 7. والشوكة القوم، وغير ذات الشوكة العير.

وكان رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم قد أخذ قبضـة من التراب فرمى بهـا في وجوه القوم فانهزموا فأنزل اللـه عز وجل: (وما رميت إذ رميـت ولكن الله رمى) - الأنفال: 17. فقتلنا وأسرنا. فقال عمر بن الخطاب: يا رسـول الله ما أرى أن تكون لك أسرى، فإنما نحن داعون مؤلفون. فقلنا -معشر الأنصار- إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ، فقال: ادعوا لي عمر فدعـي له، فقال: إن الله عز وجل قد أنزل علي: (ما كان لنبي أن يكون لـه أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) - الأنفال: 67.

عـن عـلي بن أبي طالـب قال: لمـا قدمنا المدينـة أصبنا مـن ثمارها فاجتويناهـا، فأصابنـا بها وعك، فـكان النبي صلى الله عليه وسـلم يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سـار رسول الله صلى الله عليه وسـلم إلى بدر -وبدر بئر- فسـبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم. رجلاً من قريش، ومولى لعقبة أبن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة، فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال

ذلـك ضربـوه حتى انتهوا بـه إلى النبي صلى الله عليه وسـلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «كم القوم»؟ فقال: هم والله كثير عددهم، شـديد بأسهم؛ فجهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبره فأبى. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم سأله: «كم ينحرون من الجزر؟» قال: عشرة لكل يوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القوم ألف كل جزور لمائة ونيفها».

ثـم إنـه أصابنا طشٌّ مـن مطر فانطلقنـا تحت الشـجر والحجف، نستظل تحتها من المطر. وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد» قال: فلما أن طلع الفجر نادى «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف. فصلى بنا رسـول الله وحض على القتال ثم قال: «إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل»، فلما دنا القوم وصافيناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر يسير في القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يـا علي ناد حمزة -وكان أقربهم مـن المشركين-: من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم؟»، ثم قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: «إن يكـن في القـوم أحد يأمر بخـير، فعسى أن يكـون صاحب الجمل الأحمر». قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قوماً مسـتميتين، لا تصلون إليهم وفيكم خير؛ يا قوم اعصبوها اليوم بـرأسي وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، ولقد علمتم أني لست بأجبنكم.

فسمع بذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول ذلك، والله لو غيرك يقول لعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعباً. فقال عتبة: إياي تعني، يا مصفر استه، ستعلم اليوم أينا الجبان.

قال: فبرز عتبة، وأخوه شيبة وابنه الوليد، حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة. فقال عتبة: لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبدالمطلب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب» فقتل الله شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. وجرح عبيدة. فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين. فجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبدالمطلب أسيراً. فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني. أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري أنا أسرته يا رسول الله. قال: «اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم».

قال علي رضي الله عنه: فأسرنا من بني عبدالمطلب العباس وعقيلاً ونوفل بن الحارث[1].

وقال للعباس: «يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن جحدم» -أحد بني الحارث بن فهر- قال: فإني كنت مسلماً قبل ذلك، وإنما استكرهوني.

---

(1) رواه أحمد والبزار، وروى أبو داود طرفاً منه.

قال: «الله أعلم بشأنك؛ إن يك ما تدعي حقاً، الله يجزيك بذلك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك»، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ معه[1] عشرين أوقية ذهب فقال: يا رسول الله، احسبها من فدائي، قال: «لا، ذلك شيء أعطانا الله منك» قال: فإنه ليس لي مال. قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة، حين خرجت، عند أم الفضل، وليس معكما غيركما أحد، فقلت: إن أصبت في سفري، فللفضل كذا، ولقثم كذا، ولعبدالله كذا».

قال: فوالذي بعثك بالحق، ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها، وإني أعلم أنك رسول الله[2].

وعن أبي عزيز بن عمير -أخي مصعب بن عمير- قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالأسرى خيراً، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البر، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

وعن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب، وكنت قد أسلمت، وأسلمت أم الفضل وأسلم العباس، وكان يكتم إسلامه مخافة قومه وكان أبو لهب تخلف عن

---

(1) كذا في الأصل ولعلها «منه».
(2) رواه أحمد.
(3) رواه الطبراني في الصغير والكبير.

بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، وكان له عليه دين فقال له: اكفني من هذا الغزو، وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر، وكبت الله أبا لهب -وكنت رجلاً ضعيفاً أنحت هـذه الأقداح في حجرة زمزم- فوالله إنـي لجالس أنحت أقداحي في الحجرة، وعندي أم الفضل، إذا الفاسـق أبـو لهب يجر رجليه، أراه قال، حتى جلـس عند طنب الحجرة، فكان ظهـره إلى ظهري، قال الناس: هذا أبو سـفيان بـن الحارث؛ فقال أبو لهـب: هلـم يا بن أخي كيـف كان أمر الناس؟. قـال: لا شيء والله، ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيـف شـاؤوا؛ وايم الله، ما لمت النـاس، قال: فلم؟. قـال: رأيت رجالاً بيضـاً على خيل بلـق، لا والله لا تليق شـيئاً ولا يقوم لهـا شيء. قال: فرفعـت طنب الحجرة فقلت: تلـك والله الملائكة. فرفـع أبو لهب يده فلطـم وجهي، وثاورته، فاحتملني، فضرب بي الأرض حتى نزل علي، وقامت أم الفضل فاحتجزت، وأخذت عموداً من عمد الحجرة فضربته به، ففلقت في رأسـه شجة منكرة، وقالت: أي عدو الله استضعفته أن رأيت سـيده غائباً عنه. فقام ذليلاً؛ فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربـه الله بالعدسـة، فقتلته فتركه ابناه يومـين أو ثلاثة، ما يدفناه حتى أنتن؛ فقال رجل من قريش لابنيه: ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيتـه؟ فقالا: إنا نخشى هذه القرحة. وكانت قريش تتقي العدسـة كما تتقي الطاعون. فقال رجل: انطلقا فأنا معكما, فوالله ما غسلاه إلا قذفـاً بالماء من بعيـد. ثم احتملوه، فقذفوه في أعـلى مكة إلى جدار،

وقذفوا عليه الحجارة[1].

عــن أبي أســيد، أنــه كان يقــول: أصبت يوم بدر ســيف بنــي عابد المخزوميين «المرزبان»، فلما أمر رســول الله صلى الله عليه وســلم أن يــردوا مــا في أيديهم، أقبلت به حتى ألقيته في النفل قال: وكان رســول الله صلى الله عليه وسلم، لا يمنع شيئاً يسأله؛ قال: فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه إياه.

وكان مــن الأسرى نوفل بــن الحارث بن عبدالمطلب، قال له رســول الله صلى الله عليه وســلم: «افد نفسك يا نوفل» فقال: مالي شيء أفدي به نفسي، قال: «افد نفســك من مالك الذي بجدة» وفي لفظ «بأرماحك التي بجدة» فقال: أشهد أنك رسول الله، والله ما أحد يعلم أن لي بجدة أرماحاً غير الله. وفدى نفسه.

وكان من الأسرى عمرو بن عبدالله بن عثمان بن وهب بن جمح أبو عزة الشاعر، وكان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشعره، فلما أسر قال: يا رســول الله إني فقير وذو حاجة قــد عرفتها ولي خمس بنات، ليس لهن شيء، فتصدق بي عليهــن، فأعتقه وأخذ عليه المواثيق، قال أبــو عزة: أعطيك موثقاً لا أقاتلك، ولا أكثــر عليك أبداً. وذكر أنه قال في ذلك شعراً يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله: قال:

---

(1) رواه الطبراني والبار.

من مبلغ عني الرسول محمداً
بـأنـك حـق والمـلـيـك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى
عليك من الله العظيم شهود
وأنـت امـرؤ بوئت فينا مباءة
لها درجـات سهلة وصعود
فـإنـك مـن حـاربـتـه لمحارب
شقي ومـن سالمته لسعيد

فلمـا خرجـت قريش إلى أحد، جـاءه صفوان بن أميـة فقال: اخرج معنا. فقال إني قد أعطيت محمداً موثقاً ألا أقاتله، ولا أكثر عليه أبدا، وقد منَّ علي ولم يمن على غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء فضمن له صفـوان أن يجعل بناته مع بناته إن قتل، وإن عاش أعطاه مالاً كثيراً لا يأكله عياله فغلبت عليه شقوته وخرج يدعو العرب ويحشدها، ثم خـرج مع قريش يوم أحد فـأسره ولم يؤسر غيره من قريش فقال: يا محمد إنما خرجت مكرهاً، ولي بنات، فامنن علي.

فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «أين ما أعطيتني من العهد والميثـاق؟ لا والله لا تمسـح عارضيـك بمكة تقول: سـخرت بمحمد مرتـين، إن المؤمن لا يلدغ مـن جحر مرتين، يا عاصـم بن ثابت قدمه فاضرب عنقه» فقدمه عاصم فضرب عنقه.

## الأسرى الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم:

لم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أسير قط إلا وكان هذا الأسير يدخل تحت وصف -مجرم حرب- كما يقول رجال الساسة المحدثون، أي أن يكون قد ارتكب من الجرائم والآثام ضد الإسلام والمسلمين، واستمر على آثامه وجرائمه وعداوته حتى وقع في الأسر، وليس هناك أمل في توبته أو رجوعه.

## النضر بن الحارث:

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النضر بن الحارث وهو أسير، فقال النضر للأسير الذي بجانبه: محمد والله قاتلي، فإنه نظر إلى بعينين فيهما الموت، فقال له: والله ما هذا إلا رعب.

وقال النضر لمصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه: يا مصعب أنت أقرب من هنا إليّ رحماً فكلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، يعني المأسورين، هو والله قاتلي. -هذا بسبب معرفته بما ارتكب من الآثام وما قدمه من أذى وإساءة إلى المسلمين، ونبي الإسلام، وكتاب الإسلام عمق في نفسه الإحساس بأنه يستحق القتل- فقال مصعب: إنك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا (يعيبه ويسبه) وتقول في نبيه صلى الله عليه وسلم كذا وكذا (يشتمه ويهجوه) وكنت تعذب أصحابه، وفي أسباب النزول للسيوطي: وكان المقداد رضي الله عنه أسر النضر، فلما أمر رسول الله بقتله، قال المقداد: يا رسول الله: أسيري فقال

لــه رســول الله صلى الله عليه وســلم «إنه كان يقــول في كتاب الله ما يقــول». وقد أمر رســول الله صلى الله عليه وســلم علي بن أبي طالب بقتله بالصفراء في طريق العودة إلى المدينة.

وقد رويت أبيات من الشعر منسوبة إلى قتيلة بنت الحارث في مقتل أخيها:

يــا راكــبــاً إن الأثــيــل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبــلــغ بها ميتاً بــأن تحية
ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعــبرة مسفوحة
جــادت بواكفها وأخــرى تخنق
هل يسمعن النضر إن ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضــنء كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن
بأعز مــا يغلو بــه مــا ينفق
والنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم إن كــان عتق يعتق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لـلـه أرحـــام هــنــاك تشقق
صــبراً يقاد على المنية متعباً
رســف المقيد وهــو عــان موثق

ويقال: إنه صلى الله عليه وســلم حين ســمع هذا الشعر بكى حتى أخضلت لحيته وقال: «لو بلغني هذا الشــعر قبـل مقتله لمننت عليه» وفيه نظر.

## عقبة بن أبي معيط:

وفي عــرق الظبية أمر رســول الله صلى الله عليه وســلم بقتل عقبة بــن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت بــن أبي الأقلح، وحين قدم للقتل قال: من للصبية يا محمد؟ قال عليه الصلاة والسلام: «النار»، فنادى: يا معــشر قريش مالي أقتل من بينكم صبراً؟ فقــال له النبي صلى الله عليه وســلم «بكفرك وافترائك على رسول الله» وفي رواية «ببزاقك على وجهي»، ولذلك قصة سنلخصها بعد قليل. قال في البداية: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وســلم بقتل عقبة قــال: أتقتلني يا محمد من بين قريــش؟ قال: «نعم أتدرون ما صنع بي؟ جاء وأنا ســاجد خلف المقام فوضــع رجله عــلى عنقي وغمزها فمــا رفعها حتى ظننــت أن عيني ســتندران، وجاء مرة أخرى بســلا شــاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي».

مسجد العريش

## أما قصة البزاق فتتلخص فيما يلي:

كان عقبــة بن أبي معيط يكثر من مجالســة رســول الله صلى الله عليه وسلم في مكة وهو على كفره، ويوماً دعا لوليمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، فرفض عليه السلام أن يأكل من طعامه إلا أن ينطق بالشهادتين، ففعل، وكان أبيّ بن خلف صديقاً لعتبة، فعاتبه وقــال: صبأت يا عقبة، قــال: لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاســتحييت منه، فشــهدت له الشهادة وليســت في نفسي، فقال أبيّ: وجهــي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه، فوجده صلى الله عليه وسلم ساجداً في دار الندوة، ففعل به ذلك، فقال رســول الله صلى الله عليه وســلم «لا ألقاك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف»، وأنزل الله فيه (ويوم يعض الظالم على يديه) - الفرقان: 27.

## طعيمة بن عدي:

والصحيح أن حمزة رضي الله عنه قتله في المعركة.

## مكة تعلم بمصاب قريش

لـم يكن أحد في مكة يظن أو يتخيل أن تصاب قريش وأحلافها بهذه الهزيمـة النكراء وأن تفجع في هذا العدد الكبير من سـادتها وكبرائها وزعمائهـا في يوم أو بعض يوم، ومن هنا كان الذهول وعدم التصديق هو الشعور السائد الغالب عليهم حين جاءهم من يخبرهم بالفاجعة.

وكان أول مـن قدم مكة بمصاب قريش الحيسـمان بن عبدالله بن إيـاس بن كعـب الخزاعي، فسـألوه مـا وراءك؟ فقال: قتـل عتبة بن ربيعة وشـيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وزمعة بن الأسـود وأبو البختري بن هشـام ونبيه ومنبه ابنـا الحجاج. فقال صفوان بن أمية وكان سامعاً: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. فقالوا مـا فعل صفـوان بن أمية؟ فقال هـو ذاك جالس في الحجـر، قد والله رأيـت أبـاه وأخاه حين قتلا. قـال أبو رافع مولى رسـول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهـاب قومه ويكره خلافهـم، وكان يكتم إسـلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشـام، فلما جاءه الخبر عن مصاب مكة في بدر كتمه وكبته. قال

أبــو رافع: وكنت رجــلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقــداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقــد سرنــا ما جاءنا من الخــبر، أقبل أبو لهب يجــر رجليه بشر حتى جلــس على طرف الحجرة فكان ظهــره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قد قدم، فقال أبو لهب: هلم إليّ فعندك الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه. فقال: يــا بن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس، قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلون كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وايــم الله مــع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجــالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تلقى شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعــت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال فرفع يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً.

فقامــت أم الفضــل إلى عمود من عمد الحجــرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت في رأســه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده. فقام مولياً ذليلاً ومات بعدها بقليل.

وكانــت قريــش قد قررت عــدم النياحة وتأخرت في إرســال الفداء في الأسرى تعبيراً عن ســخطها، وكانت النساء في أول الأمر قد ناحت زمناً وجززن شعورهن ثم أشير عليهن، لا تفعلن فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا، ولا نبكي قتلانا حتى نأخذ بثأرهم، وتواصوا على ذلك.

وكان الأسود بن زمعة من المستهزئين بالمسلمين، يقول إذا رآهم: قد جاءكم ملوك الأرض، ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر فاستجاب الله فيه دعوة رسوله فأصابه العمى. قتل له في بدر ثلاثة من ولده، وكان يحب أن يشفي صدره ببكائهم، وكان يبعث غلاماً له ليرى إن كان النوح قد أحل، وقيل كان يخرج به غلامه يقوده إلى شعب حيث يبكي فلا يراه أحد، ويقول لغلامه اكتم علي.

وكان من رد فعلهم مؤامرة صفوان بن أمية وعمير بن وهب لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم التي انتهت بإسلام عمير بن وهب (ذكرناها عند الحديث عن الأسرى).

## فضل غزوة بدر وأصحابها

سمى الله تعالى يومها (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)، وجعلها مناط التمايز والتفريق بين الناس في الآخرة.

لقد اصطفى الله أصحاب بدر من بين المسلمين فخصهم بمزايا ليست لغيرهم من المؤمنين، وذلك لأن بدراً فتحت الطريق أمام الإسلام ليطل بنوره على جزيرة العرب ثم يخرج منها إلى الدنيا بأسرها.

ولأن بدراً أضاءت للأمة الإسلامية وللجماعة المؤمنة سبل الدعوة والجهاد والحياة في ظل خلوص العبودية لله تعالى فكان لمن شارك فيها المكانة اللائقة والفوز بالجنة والنجاة من النار.

إن أصحاب بدر هم النجوم المضيئة في التاريخ الإسلامي حتى أصبح

يقــال للواحد منهم البدري، وكفى بهذا الوصــف شرفاً وتعظيماً له في حيــاة الناس، وكفى به أجراً وإحســاناً عند الله تعــالى. اهـ مرويات غزوة بدر.

## فضل من شهد بدراً

قتــل حارثة بن سراقة في غزوة بدر، أصابه ســهم غرب وهو يشرب عــلى الحوض، بلغ خبر مقتله أمه الرُّبَيــع بنت النضر عمة أنس رضي الله عنهم في المدينة قبل رجوع النبي صلى الله عليه وســلم إلى المدينة، فقالت: لا أبكيه حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم رســول الله صلى الله عليه وســلم المدينة ذهبت مع أخته إليه، فقالت يا رســول الله قد عرفــت منزلة حارثة مني، فإن يكــن في الجنة أصبر وأحتســب، وإن تكــن الأخرى تر مــا أصنع. فقال لها صــلى الله عليه وســلم: «ويحك أوهبلــت أجنة واحدة؟ إنها جنــان كثيرة والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى»، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنــاء من ماء، فغمس يده فيــه ومضمض فاه فيه ثم ناوله أم حارثة فشربت، ثم ناولت ابنتها فشربت، ثم أمرهما تنضحان به في جيوبهما، ففعلتــا، فرجعتــا من عنــد النبي صلى الله عليه وســلم ومــا بالمدينة امرأتان أقر عيناً منهما ولا أسر. رواه البخاري.

فهذا الذي أصيب وهو خارج حومة الوغي قبل أن يشارك في قتال أو عــراك مكانه الفردوس الأعلى، فانظر أين مكان الأبطال الذين خاضوا

المعارك طلباً للشهادة وكتبها الله لهم؟.

روى البخاري رحمه الله عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: «جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟»، قال: «من أفضل الناس -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة». وهذه صورة رائعة لبيان منزلة أهل بدر إذ يقاس الملائكة بهم في الفضل. وقد وردت أحاديث تدل على أن أهل بدر قد غفر الله لهم كما تدل على أنهم من أهل الجنة وإن أخطؤوا.

فقد روى البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد والزبير -كلنا فارس- قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلنا: الكتاب؛ فقالت: ما معي من كتاب. فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً. فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت على حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال حاطب: والله ما بي ألا أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن

أردت أن تكـون لي عنـد القوم يد يدفع بها الله عـن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشـيرته مـن يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق ولا تقولوا له إلا خيراً» فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضربن عنقه. فقال صلى الله عليه وسلم: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم». فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. اهـ.

قال ابن حجر رحمه الله واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة، لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها. والله أعلم.

وقال النووي رحمه الله (شرح مسـلم) قال العلماء: معناه الغفران لهـم في الآخرة وإلا فإن توجه عـلى أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيـا، ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم قال: وضرب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم مسطحاً الحد وكان بدرياً. اهـ.

وجاء أحد الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسـلم فقال: يا رسـول اللـه، إن ابن عمي نافق، أي وقد كان مـن أهل بدر، أتأذن لي أن أضرب عنقـه؟ فقال صلى الله عليه وسـلم: «إنه شـهد بـدراً وعسى أن يكفر عنـه» وفي رواية «وما يدريـك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

روى أحمد عن حفصة رضي الله تعالى عنها قالت: سـمعت رسـول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأرجو ألا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد شهد بدراً أو الحديبية».

وفي مجمع الزوائد قال الهيثمي رحمه الله:

عــن رافع بن خديج أن رســول اللــه صلى الله عليه وســلم قال يوم بدر: «والذي نفسي بيده لو أن مولوداً ولد في فقه أربعين ســنة من أهل الدين، يعمل بطاعة الله ويجتنب معاصي الله كلها على أن يرد إلى أرذل العمــر، أو يرد على ألا يعلم بعد علم شــيئاً لــم يبلغ أحدكم هذه الليلة» رواه الطبراني أيضاً.

## غزوة بدر الآخرة

ويقال لها بدر الموعد، لأن رســول الله صلى الله عليه وســلم واعد أبا سفيان على أن يكون بينهما لقاء في بدر، وذلك حين انصرافه من أحد، فقد قال أبو ســفيان موعد ما بيننا وبينكم بدر – أي موسمها- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قل: نعم إن شاء الله تعالى.

اختلف رواة السيرة في موعد خروجه صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة فقيل خرج في شــعبان، وقيل في شــوال، وقيل في ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة والراجح أن خروج المســلمين كان في شــهر شــوال لأنهم وصلوا في مستهل ذي العقدة وأقاموا بها ثمانية أيام -موسم بدر كل عام- حيث كان الناس يجتمعون بها هذه المدة يقيمون ويبتاعون

ويتبادلون المنافع.

وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبدالله بن عبدالله بن سلول وقيل عبدالله بن رواحة، وقد اختلف في عدد من خرج معه من المسلمين فقيل كانوا ألفاً وخمسمائة مقاتل، وقيل سبعين والفرق كما ترى كبير.

وقد نزلت في هذه الغزوة آيات من كتاب الله العزيز: (الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) - آل عمران: 173.

وذلك لأنه عندما تأهب المسلمون للخروج جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعي -ولم يكن قد أسلم بعد- وأخذ يطوف بالمدينة يرجف بكثرة المشركين وقوة استعدادهم ويخوف المسلمين من لقائهم قائلاً: ما هذا بالرأي، أتوكم في دياركم وقراكم فلم يفلت منكم إلا شريد، فتريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم من أحد.

وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد ذهب إلى أبي سفيان وأهل مكة يخبرهم بتأهب المسلمين للخروج إلى موعدهم في بدر، وكان أبو سفيان وأهل مكة قد خرجوا وهم يزمعون الرجوع قبل لقاء المسلمين، فبعث أبو سفيان نعيم بن مسعود إلى أهل المدينة ليثبطهم ويضعف عزائمهم ويخوفهم من لقاء أبي سفيان ومن معه، وله عشر من الإبل وقال أبو سفيان لقريش: لقد بعثنا نعيماً ليخذل المسلمين عن الخروج، لكن

نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فإن كان محمد لم يخرج وبلغه أنا خرجنا ورجعنا لأنه لم يخرج، كان ذلك لنا عليه، وإن خرج أظهرنا أن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام عشب، قالوا نعم، فخرج بهم حتى وصلوا إلى مجنة وهي سوق معروفة قرب مر الظهران، ثم قال: يا معشر قريش، لا يصلحكم إلا عام خصب، ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق.

أما ما كان شأن المسلمين فقد تأثر بعضهم بأراجيف نعيم بن مسعود، وترددوا في الخروج، واستبشر المنافقون واليهود، وقالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع، فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سمعا ما أرجف به المرجفون وقالا له: يا رسول الله، إن الله مظهر نبيه ومعز دينه، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن، فسر لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة فسرّ عليه الصلاة والسلام لكلامهما وقال: «والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد» فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون.

وحمل لواء المسلمين في هذه الغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخرج المسلمون ومعهم تجارات إلى بدر، قالوا خرج ومعه سبعون رجلاً يقولون (حسبنا الله ونعم الوكيل) وصاروا كلما سألوا عن قريش يقولون لهم: قد جمعوا لكم، قالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقام السوق صبيحة الهلال، واستمر ثمانية أيام، وهم مقيمون ينتظرون من واعدوهم، ووجدوها أسواقاً لا ينازعهم فيها أحد، وكان معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا وربحوا أدماً وزبيباً وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، وقال في ذلك عبدالله بن رواحة أو كعب بن مالك:

وعدنا أبا سفيان وعداً فلم نجد
لميعاده صدقاً وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا
لأبت ذميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه
وعمراً أبا جهل تركناه ثاوياً
عصيتم رسول الله أف لدينكم
وأمركم الشيء الذي كان غاوياً
وإني وإن عنفتموني لقائل
فدى لرسول الله أهلي ومماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره
شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

وذكر ابن القيم في زاد المعاد والحلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى بدر الموعد في ألف وخمسمائة مقاتل.

وقد أسرع معبد بن أبي معبد إلى مكة بعد انتهاء الموسم ليخبر

**قريشاً بأن المسلمين كانوا أصحاب الموسم، فقال صفوان بن أمية لأبي سـفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترؤوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم وإنما خلفنا الضعف.**

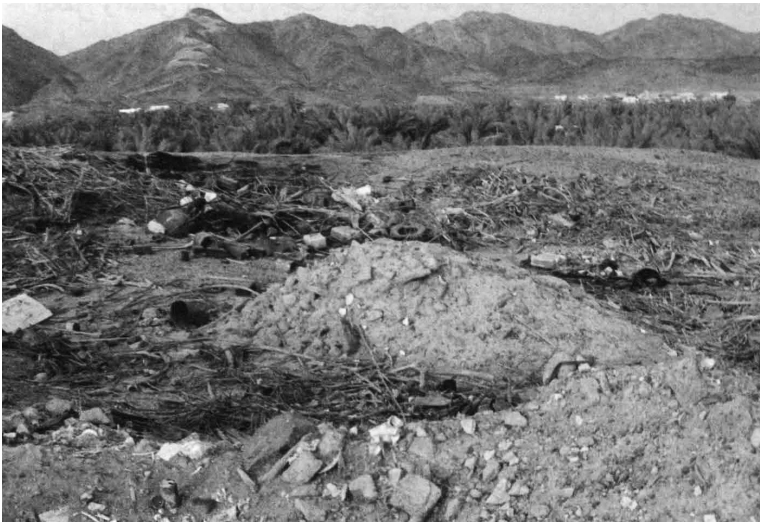

القليب المكان الذي دفن فيه قتلى المشركين

# الفصل الخامس

# دروس مستفادة

## نتائج معركة بدر بالنسبة لقريش والقبائل:

كانت النهاية التي انتهت إليها معركة بدر نهاية مفجعة مؤسفة بالنسبة لقريش وأحلافها، وكارثة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فقد هزمت قريش هزيمة منكرة حاسمة ربما لم تشهد الجزيرة العربية لها مثيلاً منذ زمن بعيد، وقتل من سادتها وأشرافها وزعمائها عدد كبير، كما أسر منهم عدد كبير أيضاً، وهذا آخر ما كانت قريش تتوقعه بل لم يكن يخطر لها على بال.

فماذا كانت نتائج هذه الصدمة؟

العقل والمنطق يقولان: يجب أن يعيد القرشيون حساباتهم، وينظروا إلى الإسلام والمسلمين نظرة جديدة تتناسب مع هذا الحدث الجديد، ثم يرتبون علاقاتهم بالمسلمين والقبائل التي حولهم على أساس هذا الواقع الجديد، واقع ظهور جماعة جديدة فتية قوية، لها مبادئها ومقوماتها التي تساعدها على البقاء والنمو وخاصة بعد أن وضح أن الأمة الإسلامية قد عرفت طريقها إلى المقاومة الإيجابية بعد أن سيطرت تماماً على طريق التجارة مع الشام.

لكن الذي وقع شيء مختلف تماماً وغريب غاية الغرابة، فقد كان رد الفعل جاهلياً قبلياً، إذ أمرت النساء بالكف عن النوح والبكاء على

قتلاهــم، لأن البــكاء والنوح يشــفي الصدر، ويذهــب الغيظ، وهم لا يريدون لصدورهم أن تسكن ولا لغيظهم أن يهدأ حتى يثأروا لقتلاهم من محمد وأصحابه.

وكانت زعامة الانتقام والثأر لأبي ســفيان بــن حرب وزوجته هند بنــت عتبة التي ما فتئت تشــعلها ناراً، وتبحث عن وســيلة للثأر من حمزة قاتل أبيهــا وأخيها، حتى وجدتها غدراً في صورة العبد الحبشي وحشي في أحد.

اضطر القرشيون الأعزة أن يذهبوا إلى المدينة في فداء أسراهم بعد أن امتنعوا عن ذلك زمناً، ثم اضطروا إلى التســليم بالأمر الواقع، فافتدى الأغنياء أسراهم بأربعة آلاف درهم لكل أســير، ومنّ رســول الله صلى الله عليه وسلم على فقرائهم، وجعل فداء الكاتب منهم أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة.

انتقلــت زعامــة قريش إلى أبي ســفيان بن حرب بعد قتــل الزعماء والســادة في بــدر لكنه لم يســتطع أن يأتــي بشيء ذي بــال في صالح قريش ومكة رغم ما اشــتهر به من هدوء الأعصاب، وطول التفكير، وجمود العاطفة، ولعل ذلك لأن قريشاً لم تسلم له بالزعامة كلها، بل كانت هناك بطون لا تعترف بزعامته.

المعروف عن القبائل البدويــة العربية أنها واقعية التفكير، تميل إلى الجانــب الــذي تحس عنده القــوة، وقد كان ميلهــا إلى قريش القوية،

ذات الثراء والسيادة يحجب عنها إدراك ما في الإسلام من محاسن وفضائل، كما يحجب عنها الوضع الجديد المستقر الآمن الذي قام في المدينة بقيام أمة الإسلام، فلما وقعت الهزيمة وانكشفت قريش، بدأ زعماء القبائل ينصرفون عنها، واتجهت أنظارهم إلى المدينة يستطلعون أخبارها، ويستكشفون مزايا النظام الجديد الذي بزغ فجره فيها، ويتدبرون أمر الإسلام وقد زالت عن عيونهم الغشاوة التي كانت قريش تضعها عليها.

أغلق طريق التجارة إلى الشام، التي كانت تمثل الجانب الأكبر والرئيسي من مصادر ثراء قريش ورخائها، وقد أدى ذلك إلى انصراف العرب والأعراب عن الحج، حيث كان موسم الحج عندهم هو موسم التجارة وتبادل السلع والمنافع، وبدأت ثروة قريش المدخرة خلال السنوات الطوال تستهلك وتنفد، كما انصرف أكثر العرب عن معبوداتهم التي أقاموا لها الأصنام حول الكعبة.

حاولت قريش الخروج من هذا الحصار بغزو المدينة مرتين: أحد والخندق، ولكنها باءت بالفشل الذريع في كلتيهما.

## نتائج معركة بدر بالنسبة للإسلام والمسلمين:

1 - كانت معركة بدر أول معركة متكاملة واجه المسلمون فيها الشرك والبغي والظلم، وجيش المسلمين في هذه المعركة كان أول جيش نظامي عرفه العرب في تاريخهم قبل الإسلام.

2 - كانت الضربة التي وجهها المسلمون للمشركين في هذا اليوم قاصمة فقد قتل عدد كبير من قادتهم وزعمائهم وسراتهم في زمن قليل، حيث قتل عتبة وشيبة والوليد، ثم قتل أبو جهل، وأبو البختري العاصي بن هشام وابنه الأسود، وأمية بن خلف وابنه علي، ثم عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وغيرهم، وأصبح المسلمون شيئاً جديداً وكياناً جديداً، وأمة جديدة حول عقيدة ورسول وأهداف، لها نظام عسكري وسياسي وخط سلوكي لم تعرفه الجزيرة قبل ذلك.

3 - تفتحت عيون أهل المدينة من الأوس والخزرج على هذه الحقائق، وأدركوا أن أمر الإسلام جد لا هزل فيه، وأن أمة الإسلام الناشئة حقيقة واقعية لا مراء فيها، وزال ما في النفوس من شك وتردد، فأخذوا يقبلون على الإسلام في حماس، وحسن إسلامهم وشاركوا بأنفسهم وأموالهم في المغازي، فاتسع نطاقها وزادت نظاماً وقوة وحسماً.

4 - تزايد اهتمام أهل المدينة بإنشاء المساجد، وتوسيع مساجد القبائل بعد تزايد عدد المسلمين وإقبالهم على أداء الصلوات وظل المسجد الجامع، مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام هو المحور الذي تجتمع حوله القلوب، وتؤدي فيه الصلاة الجامعة صلاة الجمعة، ويجتمع فيه الرسول الكريم بأصحابه معلماً ومرشداً وهادياً وموجهاً وقائداً.

5 - أدت المشاركة في معركة بدر بين المهاجرين والأنصار والمسلمين

مــن أهل القبائــل لأول مرة إلى زيادة التلاحم بين المســلمين، وتلاشــت نهائياً فواصل القبلية والعصبية.

6 - دخلت المدينة في دائرة الأمان بعد انتصار بدر، وبدأ اهتمام الرسول عليــه الصلاة والســلام بالتوســع العمراني فيها، فاتســعت أطرافها. وبخاصة بعد أن انضم إلى ســكانها كثير من أبناء القبائل الذين أقبلوا بعــد نصر بدر وزوال الغشــاوة عــن عيونهم من قبائــل جهينة، وبليّ وضبة.

7 - اســتقرت الأحــوال الاقتصادية في المدينة المنورة وبدأ المســلمون يشــعرون بالرخاء والاســتقرار، إذ اتجــه الجميع إلى العمــل، يظللهم الأمان في حماية الشريعة الإســلامية، والعجيب أن استجابتهم لأحكام الشريعــة الإســلامية الاجتماعية والخلقية كانت رائعــة، فسرعان ما اختفــت المنازعات والمشــاحنات والعداوات الفرديــة، واختفى الطمع والجشع وحب المال والأنانية.

وغلبــت عــلى المســلمين روح الجماعة، والإيثــار والاســتعداد للبذل والعطــاء، ومعاونــة بعضهم بعضاً عن طيب نفس وســخاء، وأصبح التكافــل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء هو الســلوك الســائد فيهم يســابق بعضهم بعضاً على الجهــاد وتحمل التبعات, والرســول صلى الله عليه وســلم يقوي هذه النزعة فيهم ويزكيها (فالمســلم للمســلم كالبنيان يشــد بعضه بعضاً)، (والمسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده)، (ومن بات شبعان وجاره جائع حرمت عليه الجنة)، (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).. أو كما قال.

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه).. أو كما قال.

وإذاً فقد كانت بدر ضربة قاصمة لأعداء الله ونصراً مبيناً لجند الله وفتحاً وتأييداً وبداية مسيرة عظيمة أعز الله فيها نبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه وأظهره وأيده وأنجزه وعده، وأصبح المسلمون في المدينة في سرور وحبور وأمان وأرهبت نتائج المعركة من حولهم من الأعداء الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر وتلاحم المعسكر الإسلامي أكثر وأكثر، وارتجف وخذل معسكر المشركين في مكة وشاء الله أن تكون بدر بداية النصر ومفتاح الظفر ونقطة الانطلاق نحو فتح مبين ومسيرة عظيمة.

## الدروس المستفادة والأحكام الشرعية

كانت مقدمات بدر ووقائعها وما تمخضت عنه من نتائج ومواقف وأحداث زاخرة بالـدروس العظيمة والعبر الكثيرة والأحكام الشرعية المسـتفادة، ونزلت في بدر سورة كاملة هي سـورة الأنفال تلقي أخلد الـدروس، وتحيط بمعظم الأحـداث والوقائع، وكانت بدر أول معركة بين الإسـلام وأهله، والكفر وسـدنته، وظلت بدروسـها وعبرها أبرز معركـة في تاريخ الإسـلام يتجدد عطاؤهـا على تعاقب الأيـام وتوالي الدهور، وأهم هذه العبر والدروس:

1 - كان خـروج النبي صلى الله عليه وسـلم وندبه المسـلمين لذلك بمثابة إعلان للحرب على قريش التي حاربت الإسـلام والمسلمين بكل وسـائل الحرب المادية والمعنويـة، فقد عذبتهـم وطردتهم وصادرت أموالهـم وضيقـت عليهـم وعـلى المسـتضعفين منهـم وأخافتهـم وعاملتهم بالقسـوة والأذى بشتى صوره، وقد أخذ هذا الإعلان صورة الحـرب الاقتصادية، وتعريـض أمن قريش للخـوف وتهديد تجارتها بالمصـادرة جزاء مـا أخذته من أموال المسـلمين وديارهم وما عطلته مـن مصالحهم، ومعاملة بالمثل، وقد شرع اللـه لعباده حق الانتصار مـن الظالمـين فقال:(ولمن انتـصر بعد ظلمـه فأولئك مـا عليهم من سبيل), وفي هذا إهدار لدماء الكفار، وإحلال لأموالهم لأنها وسيلتهم

وسـلاحهم في محاربة الإسـلام والصد عن سـبيل الله، والحيلولة بين النـاس وبين اتباع الحـق بالقوة. وهذا ما تقره شرائـع الحرب قديماً وحديثـاً، بل إن ما يفعله المحاربون في هـذا الأيام وما تبيحه القوانين الدوليـة وما يقع من تجـاوزات لهذه القوانين يجعل قوانين الحرب في الإسلام أسمى ما عرفته البشرية في تاريخها كله، وأرحم ما يعامل به المحارب خصمه في شتى المجالات.

2- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر لا يعلم الغيب إلا بوحي مـن الله، وقد ندب المسـلمين لملاقـاة عير قريش، ولم يكـن يعلم أنها سـتكون الحرب، لذلـك لم يعزم على المسـلمين بالخـروج، وترك لهم الخيرة في ذلك، فسـار معه من سار، وتخلف عنه من تخلف، ولو كان المسـلمون يعلمـون أن النبي صلى الله عليه وسـلم سـيلقى حرباً ما تخلـف عنه أحد، وقد رؤوا أن الذين خرجوا معه كافون للظفر بالعير التي يقودها أبو سفيان في ثلاثين أو أربعين رجلاً، وكان الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أضعافاً كثيرة لهذا العدد.

3 - كان خـروج ثلاثمائـة وأربعة عـشر رجلاً مـن الصحابة دليل حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم عليه، وقد عبر عن ذا سـيد الأنصار سـعد بن معاذ حين أشـار على النبي صلى الله عليه وسلم ببناء العريش وكان فيما قال: ... فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك.

وقـد قدر اللـه تعالى وقوع الحرب بين الفريقين لحكم كثيرة سـنلم ببعضهـا ونحن نسـتقرئ هذه الـدروس والعبر المسـتفادة من هذه الغزوة، ثم أوحى الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم أن المسلمين سـيظفرون بإحـدى الطائفتين: العـير أو جيش قريـش، فلما نجت القافلة بقيادة أبي سـفيان تأكد لهم أن الحرب واقعة لا محالة، وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ للقاء العدو.

4 - وكان النبـي قـد جعل للأنصـار راية دفعها إلى سـعد بن معاذ، وللمهاجريـن راية أعطاها لعلي بن أبي طالب، ودفع الراية العامة إلى مصعب بن عمير الذي كان أول من هاجر إلى المدينة بعد بيعة العقبة، ليعلـم الأنصار الإسـلام ويقـرأ عليهم القـرآن. وفي هـذا تقدير لأهل الفضل والسـبق للإسلام ومراعاة للمشـاعر وإثارة للحماس وتنويه بمكانة العاملين، والسادة المحبوبين.

5 - وفي تعاقـب الثلاثـة أو الأربعـة عـلى بعـير واحد دليـل على قلة الظهر عند المسـلمين، وجواز تعاقب الثلاثة أو أكثر على البعير، ودليل على تعاون المسـلمين في الأمور المهمة، وفيمـا يوصل إلى البر والتقوى ورضـوان الله عز وجل، ودليل على علو الهمة عند أولئك المؤمنين، فلا تقف في وجوههم الصعاب مهما عظمت، ولا يبخلون بأنفسهم.

6 - إقامة المسـاواة وتحقيق العدالة بين الجنود والقائد، فقد رفض صلى الله عليه وسلم ما عرضه عليه علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي

مرثد بأن يركب ويمشيا فقال: ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما، وفي هذا ما فيه من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الأجر، وإظهار التواضع والافتقار إلى الله، والرغبة فيما عنده، وإيثار الآخرة على العاجلة، وتعليم المسلمين ذلك بالقول والعمل، واكتمال الأسوة الحسنة في شخصه الكريم، مما لا مثيل له في أحد أبداً. وإن خير ما يتصف به المؤمن الحرص على الأجر، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لن يشبع المؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة».

7 - التعمية على العدو بكل وسيلة ممكنة فقد قطع أجراس الإبل ليبقى تحرك الجيش سراً عسكرياً، وعدم إعطاء الخصم أي خبر يمكن إخفاؤه، وجواز استعمال المعاريض خروجاً من الكذب، كقوله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء جواباً لمن سأله ممن أنتما؟.

8 - أهمية معرفة أحوال العدو والتجسس عليه وتتبع أخباره واستنتاج أحواله واستعداده، فقد سأل عن منزل قريش وعددها وزعمائها وأبطالها، وأرسل العيون لذلك وسأل من لم يكن على علم بما يدور ليكون أقرب إلى الصواب وأبعد عن الشبهة، وقام بنفسه ومعه صاحبه أبو بكر ببعض هذه المهام ليكون ذلك درساً لكل قائد عسكري؛ كي لا يكون اعتماده كله على عيونه وجواسيسه, ولأن نظر القائد أبعد من نظر من دونه، وحرصه أشد من حرص غيره، وليكون كل جندي عيناً على عدوه يعرف كل ما يستطيع معرفته

عنه، ويواصل أخباره ويكشف تحركاته ومؤامراته.

9 - وفي هذا جواز إرسال الجواسيس وبث العيون. «نحن من ماء» يفهم من هذه الواقعة جواز استعمال المعاريض للتخلص من الوقوع في الكذب وخصوصاً في وقت الحرب.

10 - تفاؤل الرسول صلى الله عيه وسلم بما يدعو إلى التفاؤل فقد قطع وادي ذفران ثم نزل، ولم ينزل بالصفراء، وحين سأل عن جبليها وأهلها فقيل: بنو النار، وبنو حراق كرههما وتفاءل باسميهما وأسماء أهلها، وأن النار والحرق ستكون على الكافرين، وأن النصر للمؤمنين.

11 - براعة النبي صلى الله عليه وسلم وقدرته على مواجهة الظروف الطارئة، والمفاجآت الصعبة، فقد خرج وندب المسلمين لاعتراض القافلة، فلما جاء النفير وخرجت قريش بخيلها وخيلائها. بدأ فاستشار الناس، وأخبرهم أنه ربما لقي حرباً، وتكلم ثلاثة من أكابر الصحابة فأحسنوا، وكان يريد أن يسمع رأي الأنصار لأنهم بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأبناءهم ونساءهم ولم يكن في البيعة ما يلزمهم بالدفاع عنه خارج بلدهم، وأدرك سعد بن معاذ سيد الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يسمع رأيهم، فقال ما قال، وسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال سعد، وبما أظهره الأنصار من التعطش للشهادة والاستعداد للقتال

مهما كلفهم من تضحيات، وجاء الوحي يبشر المسلمين بالنصر.

12 – فقال صلى الله عليه وسلم: سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. وكانت هذه المقدمات كلها في صالح المسلمين فازدادوا ثقة بنصر الله، وإيماناً بوعد الله، وعزماً على القتال في سبيل الله حتى إذا كانت ساعة اللقاء أبدوا من ضروب البسالة وفنون الشجاعة ما قرت به عين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعين الإسلام. فكان يوم الفرقان, ويوم التقى الجمعان, وكان النصر العظيم الخالد إلى يوم القيامة.

13 – كان للشورى أثر كبير في التمهيد والاستعداد للمعركة فقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشورة الخباب بن المنذر فغير المكان، وجعل آبار بدر خلف ظهور المسلمين وغور الآبار، وبنى الحوض ليمنع المشركين من الماء, وأمر ببناء العريش كما أشار سعد بن معاذ, ولو أن أحداً استغنى عن الشورى لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من استغنى، وهو المؤيد بالوحي، الذي ينظره بنور النبوة، ولكن حكمة الله قد قضت ألا يكون المكان ملائماً للمعركة لتظهر فضيلة الشورى ومكانتها في حياة المسلمين إلى يوم القيامة، وأنه ليس لأحد من أهل الحل والعقد أن يستقل برأيه عن آراء أهل المشورة، وقد جاء الأمر من الله العزيز الحكيم لرسوله بالشورى فقال: (وشاورهم في الأمر) – آل عمران: 159. ووصف سبحانه جماعة المسلمين (وأمرهم

شــورى بينهم) - الشــورى: 38. فأرشــد ذلك إلى أنها أســاس الحكم وسبيل الفلاح.

14 - النــصر بيد الله ومن عنده ولكن ينالــه المتقون الذين أخلصوا دينهــم لله، وتوكلوا حق التوكل عــلى الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخــرة) - النســاء: 74. فــلا يعولــون في تحقيق النــصر إلا على البر والتقوى. (إذ تســتغيثون ربكم فاســتجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكــة مردفين ، وما جعله الله إلا بــشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النــصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيــم) - الأنفال: 10-9. (ولقد نصركــم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشــكرون) آل عمران: 123. فــإذا عصي الله ورســوله ولــو من فئة قليلة مــن المقاتلين نزع اللــه النصر من بين أيديهم عقوبة لهم، وتصحيحاً لطرقهم وإصلاحاً لأخطائهم، وتخليصاً لقلوبهم من شوائب الدنيا، ووساوس النفوس، فــلا تكون الهزيمة بذلك خســارة معركة فحســب، بل تكون وســيلة تطهــير وتزكية للنفــوس وتمحيصاً للقلوب، وشــحذاً للعزائم ورغبة فيمــا عند الله وإيثاراً للآجلة عــلى العاجلة، والباقية على الفانية، هذا ما وقع في أحد: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحســونهم بإذنه حتى إذا فشــلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم مــن يريــد الدنيا ومنكم من يريــد الآخرة ثم صرفكم عنهــم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) - آل عمران: 152.

15 - وكانت دروس الهزيمة كدروس النصر في غاياتها وأهدافها لتحقيق كمال العبودية لله وصدق التوكل على الله، وبذل الجهد في إعلاء كلمة الله، وبذلك تظهر للمسلمين كلمة الله الخالدة: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) - البقرة: 216.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

16 - الالتجاء إلى الله والتذلل إليه وطلب المعونة منه أساس النصر يزيد إيمان المؤمن وثقته بربه، ويربط قلبه به، ويفيض عليه الإحساس بالقوة المستمدة من قوة الله التي لا تقهر, وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في تضرعه والتجائه لربه. وقد وعد الله عباده المؤمنين الصادقين اللائذين به المجاهدين في سبيله بالنصر والتأييد.

وهنا نحب أن نقول: إن ما حدث في بدر من المقدمات والحوادث والمعجزات والنتائج ليس محصوراً في أهل بدر رضي الله عنهم، ولا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده بين ظهرانيهم، بل إن ذلك يمكن أن يقع ويتحقق في حياة المسلمين حيثما وجدت الجماعة المسلمة أو الجيش المسلم الذي يعتقد اعتقاد أهل بدر ويعمل بعملهم، وليس هذا أمراً مستحيلاً ولا بعيد المنال، بل هو أمر متاح

وقابـل للتكرار كلما وجد الإيمان العميق الصادق والتربية الإسـلامية الصحيحـة، والالتجـاء إلى الله عز وجـل والتذلل إليـه، وطلب المعونة منـه، والتصديق بوعـده: (ولينصرن اللـه من ينـصره إن الله لقوي عزيـز) - الحج: 40. والثقـة الكاملة بنصره: (ياأيهـا الذين آمنوا إن تنـصروا للـه ينصركم ويثبت أقدامكم) - محمـد: 7. فإن هذه الآيات الكريمة وأمثالها ليست خاصة في أهل بدر، بل هي لعموم المسلمين إلى يوم القيامة وعلمها باق دائم، وما فيها من وعد أو وعيد ليس خاصاً برجـال بـدر، ولا بكفار قريش بل هي وعود مـن الله عز وجل لعباده بالنصر والتأييد، والتثبيت وللكافرين بالهزيمة والتمزيق.

17 - الكافـر مقطـوع عـن الله، محجـوب عن رؤية الحـق، متبع للهـوى، متكبر بالباطل، يسـتحوذ عليـه الحقد والغرور، يسـعى في مضرة نفسـه وهلاك قومه من حيث لا يشـعر، وقد تكفل الله تعالى بإذلالـه وخذلانه وإضلاله. يعمي بـصره عن رؤية الحق، ويصم أذنه عن سـماعه فلا ينفعه تحذير، ولا تجـدي معه النصيحة، ولو جاءت من أقرب الناس إليه, فقد رفض أبو جهل الرجوع، وأصر على السـير إلى بدر حتى تنحر الجزر وتعزف القيان وتشرب الخمور وتسـمع بنا العـرب فلا يزالون يهابوننا. وقد خذله الله وأهانه وقتله شر قتلة مع مـن قتل من سـادة قريش. وهذا موقف الكافريـن في غالب أحوالهم، وقد قص القرآن الكريم خطأ تقديرهم، وسـوء مصيرهم في كثير من

الأمم، كما خاطب كفار قريش في بدر فقال تعالى: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين) - الأنفال: 19. وكان أبو جهل قد استفتح قبل المعركة فقال «اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة -أي اقتله واخذله- ورغم ذلك ظلت قريش سادرة في غيها، ساعية في باطلها سنين طوالاً حتى جاء نصر الله والفتح.

18 - المؤمن موصول بالله محب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، متعطش للشهادة في سبيل الله، واثق بما أعده الله للمؤمنين من النعيم، وبوعده إحدى الحسنين للمؤمنين: النصر أو الشهادة، لذلك لم ينتظر عمير بن الحمام حتى يأكل تمراته، وخاض المعركة، حتى قتل، وقال عوف بن الحارث يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ فقال: غمس يده في العدو حاسراً، فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل. وقال عبيدة بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم حين حمل ومخ ساقه يسيل: وددت والله أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله:

ونسلمه حتى نصرع دونه

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول:

فإن يقطعوا رجلي فإني مسلم
أُرَجِّـي به عيشاً من الله عاليا
وألبسني الرحمن من فضل مَنّه
لباساً من الإسلام غطى المساويا

19 - كان دعـاء النبي صلى الله عليه وسـلم قبل المعركة، وتذلـله ومناشـدته ربه النـصر للمؤمنين معلماً على طريق الجهاد في سـبيل الله، بأن النصر لا يكون إلا بدوام الصلة بالله، والتضرع إليه والإلحاح في الدعاء، وعدم الاتكال على القوة المادية مهما عظمت، أو اليأس من النـصر مهما تضاءلـت، والثقة بأن الله آخذ على نفسـه العهد بنصر المؤمنـين، وأن النصر بيد الله يؤتيه من يشـاء من عبـاده، وأن خرق الأسـباب وحصـول الكرامات ونـزول الملائكة للتثبيـت والتأييد أمور ممكنـة الحدوث في ميادين الجهاد في سـبيل الله، مـا دام المجاهدون صادقين مع الله، آخذين بالأسـباب المتاحة، باذلين كل ما في وسعهم، عاملين لإعلاء كلمته، ونصر دينه وتحكيم شرعه. وهذا سر انتصارات المسلمين الباهرة في حربهم مع الفرس والروم ومع المغول والصليبيين والوثنيـين.. التي أذهلـت العقول, وحـيرت الزعماء والقـادة وأرباب الحكم والفلاسفة في القديم والحديث.

20 - أهمية تشـجيع المقاتلين وإثارة حماسـتهم من قبل القيادة، وما يبعثه ذلك من الاستبسـال والتنافس على الشـهادة في سبيل الله

والفــوز برضوانه وجناته، وقد تجلى ذلك في مواقف كثيرة من رســول الله صلى الله عليه وســلم منها قوله صلى الله عليه وســلم حين علم بمكان قريش وعددها وقادتها فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها.. » وحين خرج من عريشه فقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتســباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله اللــه الجنة»، وحين ســئل عما يضحك الرب من عبده فقال: «غمســه يده في العدو حاسراً». وحين رأى الملائكة قادمين لتثبيت المؤمنين فقال لأبي بكر: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع». وقد رأينا ما أحدثته هذه الكلمات في النفوس من الحماسة والتسابق إلى الشهادة.

21 - جــواز قتــال الكافرين ولو كانــوا أكثر عدداً وعــدة، فقد كان جيش قريش أكثر من ثلاثة أضعاف المسلمين، وكانت عدتهم أضعافاً كثيرة، وأغذيتهم وفيرة بينما كان المسلمون على خلاف ذلك ونصرهم اللــه نصراً عزيزاً، ولم يكــن الفرار من العدو جائــزاً ولو كانوا عشرة أضعــاف، ثم خفف اللــه ذلك فجعل الفــرار غير جائــز إذا كان العدو ضعف المســلمين: (آلئن خفف اللــه عنكم وعلم أن فيكــم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بــإذن الله والله مــع الصابرين) - الأنفال: 66. فــإذا زاد على الضعف جاز التراجع والانسحاب من وجه العدو على أن يكون بأوامر القيادة

ولا يعد التراجع جريمة كبرى يبوء صاحبها بغضب الله إذا كان العدو أكثـر من الضعف، وليس هـذا يعني أن المسـلمين لا يقاتلون إذا كان العدو أكثر، فإن غالب حروب المسلمين كان أعداؤهم أكثر من الضعف فلـم يفروا ولم يهزموا، وما كانـت الهزائم إلا حيث يكون القتال لغير اللـه، أو حيث يكـون الإعراض عن الله والوقـوع في المعاصي والإقبال على الدنيا.

22 - جواز أن يكون القائد موجهاً للمعركة، ومحمسـاً على القتال، وأن يكـون إلى جانبـه من أهـل الرأي والمشـورة ممن يسـتعين به في التخطيـط والتوجيه، فقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم وأبو بكر رضي الله عنه يوجهان الحرب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه وتضرعه والتجائه إلى الله وطلبه النصر من الله، وتوجيهاته وكلماتـه التي قالها للمقاتلين أجدى على المسـلمين من جيش، وكان الصديـق رضي اللـه عنه يسـمع ضراعة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم وشدة دعائه فيشفق عليه من ذلك، ويرفع رداءه ويقول: بعض مناشـدتك ربك يا رسول الله، فإن الله منجز لك ما وعدك. وكان سعد بـن معـاذ بباب العريش يحرس رسـول الله صلى الله عليه وسـلم في نفـر من الأنصار يخافون عليه كرة العدو بعد أن دارت عليهم الدائرة ولاذوا بالفرار وذلك عنوان المحبة الصادقة للنبي صلى الله عليه وسلم والحرص عـلى حياته لما تمثله هذه الحياة الكريمة في حمل الرسـالة

وتبليغ الدين وكان سـعد بن معاذ هو الذي أشـار على النبي صلى الله عليه وسلم بناء العريش خوفاً على حياته الشريفة.

23 - جواز المبارزة بإذن الإمام فقد أذن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وأمر حمزة وعلياً وعبيـدة بالخروج للمبارزة حيث طلب عتبة بـن ربيعة ذلك، وأبى أن يخـرج إليهم من خرج للمبارزة من الأنصار، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً يوم الخندق.

وتكون المبارزة مستحبة إذا علم المبارز من نفسه الشجاعة والقوة والقدرة على الخصم وتكون مباحة إذا طلبها المسلم القوي الواثق من قوتـه ومهارتـه وقدرته على خصمه، وتكـون مكروهة حيث يطلبها مبـارز ضعيف غير واثق من نفسـه ويجوز للمبارزين من المسـلمين أن يعـين بعضهم بعضاً على خصمه، وينقذه من الخطر إذا تعرض له كمـا فعل حمزة وعـلي حين قتلا عتبة واحتملا عبيـدة بن الحارث إلى صفوف المسلمين.

24 - تعليم النبي صلى الله عليه وسـلم أصحابه فنون الحرب حين أمرهم أن لا يبدؤوا المشركين بالقتال حتى يأمرهم, وقال: إن أكثبوكم فارموهم واسـتبقوا نبلكم، وفي هذا نهي عن إطلاق السهام في الهواء إذا كان العدو بعيداً، والمحافظة على السهام لأوقات الحاجة لئلا تنفد أو تضيـع دون فائـدة، وقد أمر صلى الله عليه وسـلم أصحابه بتعلم الرمايـة وجعلهـا نوعاً من القـوة التي أمر الله تعـالى بإعدادها، فقد

روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما اسـتطعتم من قوة) - الأنفال: 60. ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي. ومما لا يخفى أن الرمي شـامل لكل سلاح يسـتعمل في الحـرب، وأن من واجب المسـلمين الحصـول عليه وتعلم الرمي به مهما تغيرت الأسـلحة وتطـورت وتنوعت. ولا يخفى كذلك أن تكرار النبي صلى الله عليه وسلم لعبارة (ألا إن القوة الرمي) ثلاث مرات مع قرنها بأداة الاستفتاح والتنبيه (ألا) وتوكيدها بالأداة (إن) وهي حرف توكيد أصلي يعطي الحديث أهمية خاصة ومعنى واضحاً مقصـوداً وهو أن قوة المسـلمين في الحرب منحـصرة في تعلم الرماية وإتقانها، وأن ذلك أساس القوة وجماعها وذروتها وأن ما سواها من وسائل الحرب ومقوماتها تبع لها ومكمل، ويشبه هذا قوله صلى الله عليه وسلم: الحج عرفة، وقوله: البر حسن الخلق.

وهذا نوع من القصر قصر فيه المسـند إليه وهو الحج على المسـند وهـو عرفة، وكذلك الحال في قوله: البر حسـن الخلق، وليس في هذين القصريـن أي توكيد، أما قولـه: ألا إن القوة الرمـي فقصر فيه ثلاث مؤكدات: أداة التنبيه والاسـتفتاح ألا، وحـرف التوكيد إن، ثم التكرار ثلاثاً، وهذا ملحوظ مهم ينبغي التأمل فيه، وإدراك مراميه.

25 - أمد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة، وأكرم

الصحابة بكرامات عظيمة، فقد أوصل الله تعالى بقدرته حفنة التراب التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في وجوه المشركين إلى كل واحد منهم وهم أكثر من تسعمائة، ومكن الله المسلمين رغم قلة عددهم وعدتهم من قتل أكثر أكابر مجرمي قريش فقال تعالى: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) -الأنفال: 17. حتى علا عبدالله بن مسعود صدر أبي جهل وأجهز عليه بسيف ضعيف. وثبت الله المسلمين بالملائكة على خيولهم يثيرون النقع، وكسر سيف عكاشة فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم غصناً من حطب فانقلب في يده سيفاً فقاتل به في بدر وفي غيرها من المشاهد التي حارب فيها.

26 - مشروعية دفن الشهداء دون غسل ولا صلاة في أماكنهم وعدم الإذن بنقلهم إلى المقابر، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم برد من حمل من الشهداء إلى المدينة يوم أحد ليدفن في ميدان المعركة، وفي هذا تكريم من الله عز وجل للشهداء وتطهير لهم من الذنوب، ونيل رضوانه عنهم فهم لا يحتاجون إلى تغسيل ولا إلى صلاة لما ماتوا عليه من الجهاد في سبيل الله وأن الله يغفر للشهداء كل شيء إلا الدَّين كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون كما ثبت بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة.

27 - مشروعية إلقاء الكافرين في حفرة واحدة أو بئر واحدة وفي

هـذا إهانة لهم وزيـادة إذلال لما ماتوا عليه مـن الكفر والظلم الكبير بإنكار الخالق والكفر بأنعمه وتكذيب رسله ومحاربة أوليائه وإراقة دمائهم بالباطل رغم ظهور الحق ووضوح الحجة.

28 - حقيقـة عذاب القـبر وتيقن الكافرين منه عنـد نزوله وأنهم يسـألون في القـبر ويرون ما سـيصيرون إليـه في الآخرة مـن العذاب الأليـم، وأنهـم يسـمعون مـا يقال عنـد الدفـن ولكنهـم لا يقدرون على الإجابة، وقد سـأل النبـي صلى الله عليه وسـلم أصحاب القليب وسماهم بأسمائهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فسأله أناس وقالوا: أتخاطب قوماً جيفوا؟ فقال صلى الله عليه وسلم لمن سألوه: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني، وقد وبخهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: بئس عشـيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتمونـي وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

29 - الاهتمام بالأسرى وحسـن معاملتهم فقـد أوصى النبي صلى الله عليه وسـلم بهم خيراً فقال: اسـتوصوا بالأسرى خيراً، ووزعهم بـين أصحابه، ثم قبل المسـلمون مفـاداة الأسرى، ومن لم يسـتطع الفداء عهد إليه أن يعلم عشرة من صبيان المسـلمين القراءة والكتابة ليطلـق سراحـه، وفي هذا بيـان لأهميـة التعلم، ودعـوة للقضاء على الأمية التي كانت متفشية في الأمة، ودعوة إلى الاستفادة من الطاقات

البشرية لتحقيق الرقي والتقدم للمجتمع، ورفع لمستوى الأسير المعنوي والمادي الذي عاش أسره معززاً مكرماً معلماً وعومل أحسن معاملة، قال أبو عزيز أخو مصعب بن عمير: «فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: حتى كنت أستحي من حسن صنيعهم» وفي هذه المعاملة الحسنة دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لهؤلاء الأسرى ليروا أخلاق المسلمين ويسمعوا مبادئ الإسلام وآيات القرآن الكريم فيكون ذلك تأليفاً لقلوبهم، وسبباً في إعلان إسلامهم، وهذا ما لم تر الدنيا له مثيلاً في تاريخ الأرض كله، وقد وصف القرآن الكريم صالحي هذه الأمة بقوله: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا) - الإنسان: 9-8. فأين هذا في معاملة الأسرى اليوم في عصر الأمم المتحدة وحقوق الإنسان من كلام معسول لم ير طريقه إلى التطبيق في يوم من الأيام خلال ما يقرب من خمسين سنة من عصر الأمم المتحدة.

30 - كان الأولى بهؤلاء الأسرى أن يقتلوا، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر فيهم فلين الله قلبه فأشار باستبقائهم لما بينهم من القرابة والأهل، وأشار عمر بقتلهم لأنهم كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجوه، وأشار عبدالله بن رواحة بإحراقهم

وقال سعد: والله يا رسول الله كانت هذه أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال. وآثر النبي الـرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسـلم اسـتبقاءهم وقبـول فدائهم فأنزل الله عز وجل قوله: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريـدون عرض الدنيا والله يريد الآخـرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سـبق لمسـكم فيما أخذتم عذاب عظيم) - الأنفال: 67-68.

وقد كان عتاب الله تعالى لنبيه وللمسـلمين شـديداً حتى إن رسول اللـه صلى الله عليه وسـلم وأبا بكر قد بكيا بكاء شـديداً من خشـية الله. وسـأل عمر عـن بكائهما وقال: يا رسـول اللـه أخبرني من أي شيء تبكـي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تباكيت لبكائكما. فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة.

والوجه -والله أعلم- في ترجيح قتلهم أن معركة بدر كانت أول وقعة حاسـمة بين الشرك والإيمـان، والمشركون كثير، فـكان قتلهم أدعى لكسر شـوكتهم وإذلالهم، وليعلموا أن الدنيا هينة في أعين المسلمين، وأنـه ليـس في قلوبهم رحمة لكافـر ولو كان من أهلهـم وأرحامهم، ويكـون ذلك أبلغ في قـذف الرعب في قلـوب أعدائهـم، وإخافتهم من إعـادة محاولتهم في فرصة أخرى, ولو فعل المسـلمون ذلك ما تجرأت

قريـش على السـير إلى المدينة والنزول على مشـارفها يـوم أحد لأخذ ثأرهـا، واسـتئصال المسـلمين عن بكـرة أبيهم. كمـا كان المشركون يحلمـون ويأملون، ولكن الله تعالى شـاء بحكمتـه أن تكون بدر على ما كانت عليه، وأن تكون دروسـها وعبرها على ما أسـفرت عنه، وأن تكـون أحد على مـا كانت عليـه، وأن تكون دروسـها وعبرها على ما تمخضت عنه، وأن يأخذ المسلمين بالسراء والضراء، ويبلوهم بالنصر والابتـلاء، ليقضي الله أمراً كان مفعولا، فيهلك من هلك عن بينة، وأن تنزل في بدر سورة الأنفال بآياتها الخمس والسبعين، وأن تنزل في أحد اثنتان وستون آية في سورة آل عمران، وفي كل آية من آيات الأنفال وآل عمران للمسلمين دروس وعبر لا ينفد عطاؤها أبد الدهر.

31 - لـم يخل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بعض الأسرى من القتـل من أكابر المجرمين، ممن كان من أشـد المشركـين كفراً وعناداً وبغياً وفسـاداً، فقـد قتل النضر بن الحـارث بالصفراء والمسـلمون عائـدون ثم قتل عقبة بن أبي معيط حـين كان بعرق الظبية. وجمع بذلك رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بين الرأفة والرحمة بمن قبل منهم الفداء، وبين الشدة والحزم على من قتلهم.

32 - مشروعيـة التهنئـة بالنصر واسـتقبال العائديـن من الحرب إظهـاراً للفرح والـسرور بالنعم، وتقديراً للمقاتلين واعترافاً بحسـن بلائهـم، ومـا أكرمهم الله به من الصبر والثبات والشـجاعة، وفي هذا

تشــجيع للمقاتلين يحمل على التنافس والتســابق إلى ميادين الجهاد إعلاء لكلمة الله.

33 - وقــوع الاجتهاد من الرســول صلى الله عليه وســلم في الأمور المهمة، والوحي يصوب الاجتهاد، فقد اجتهد صلى الله عليه وســلم في مســألة الأسرى فأقــر اجتهاده مع بيان أن قتلهم كان أولى وأحســن، وحين نزل في مكان ورأى الخباب بن المنذر غيره نزل الوحي بتصويب رأيه، وقال عليه السلام: لقد أشرت بالرأي.

جــواز قتل الأســير خاصــة إذا كان مــن أهل البغــي والمخادعة وقد تقدمــت أمثلــة ذلك. عقبة بن أبي معيط. النضر بــن الحارث أبو عزة الجمحي الشاعر.

الغنائــم: وقد أحلها الله للمســلمين وجعل أمرها لرســول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت آية الخمس يخرج منها الخمس لمن ذكروا في الآية ثم يوزع الباقي على شــهود المعركة بالتســاوي عدا الفرسان، فللفرس سهم، ومن غاب عن المعركة لمصلحة الجماعة أسهم له.

من قتل قتيلاً فله سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له.

أهــل بدر مغفور لهم في الآخرة، ولكنهــم يعاقبون بالحدود في الدنيا ولا يعذبون في الآخرة «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر.. إلخ».

الشهداء يدفنون حيث ماتوا.

عدم جواز وضع الأجراس في أعناق الإبل، فقد أمر رســول الله صلى

اللــه عليه وســلم بقطعها من أعنــاق الإبل في بدر، كما روت الســيدة عائشة رضي الله عنها.

إلقاء جثث القتلى في القليب يدل على أن الحربي لا يجب دفنه.

يجوز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وســلم فيما لم ينزل فيه وحي. قال للخباب «بل هو الرأي».

مراعــاة أصحاب المنة والمعــروف جائزة ويدل على ذلــك حديثه عن المطعــم بن عــدي, من قوله صلى الله عليه وســلم للعبــاس حين قال إنه مســلم: «الله أعلم بما تقول إن كان حقاً.. إلخ» إننا نعامل الناس بظاهر حالهم، ونترك باطنهم لله يحاسبهم عليه.

العتاب في الفداء في بدر خاصة تعظيماً لشأنها.

فقد أخذ فداء عثمان بن المغيرة، والحكم بن كيســان لم يعاتبه ربه فيهما.

والحقيقــة أن غــزوة بدر كانت درســاً بليغاً وظلت نبراســاً مضيئاً للمسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.